# الإنصاف
## في بيان أسباب وعلاج الاختلاف

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

# الإِنْصَاف

## في بيان أسباب وعلاج الاختلاف


تأليف

أبي عبد الرحمن عايد بن باتع الشمروخ العتيبي

الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بمحافظة الأحمدي ـ دولة الكويت (حرسها الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله ذي الفضل والمِنَّة، نحمده على أن هدانا للإسلام ووفقنا للسُّنَّة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نزع الغل من قلوب المؤمنين في الجنة، وأشهد أن محمدًا عبده وسوله ألَّف الله به بين قلوب أصحابه فكانوا خيار الأمة، وجعل بينهم وبين أسباب الخلاف وقاية وجُنَّة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم فاتبع الكتاب والسُّنَّة.

أما بعد:

فإن أمة الإسلام أمة مرحومة، فهي خلاصة الأمم، كما أن أهل السُّنَّة والجماعة هم الطائفة المنصورة، فهم صفوة الفِرَق، ولئن كان أهل الإسلام هم الغرباء بين الأمم، فإن أهل السُّنَّة هم الغرباء بين الفِرَق، فغُربة أهل السُّنَّة بين الفِرَق أشد من غُربة أهل الإسلام بين الأمم؛ ولذلك جعل الله لهم من الفضائل ومضاعفة الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعض السلف: (أهل السُّنَّة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل)[1].

وإن من أعظم ما تميَّز به أهل السُّنَّة والجماعة عن سائر أهل الأهواء والفِرَق، أنهم أهل جماعة واجتماع؛ فلذا كان من أعظم علاماتهم

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/١٤٠).

وأصولهم: السعي في الاجتماع، بخلاف أهل البدع فهم أهل فُرْقة ونزاع؛ ولذا كان من أعظم علاماتهم: الفُرْقة والشذوذ عن الجماعة.

فأهل السُّنَّة للجماعة يَدْعون، وللاجتماع على الكتاب والسُّنَّة يسعون، ومن الفُرْقة والاختلاف يحذِّرون، وكيف لا يكونون كذلك والنصوص الشرعية قد جاءت تَتْرى تحثهم على التآلف والتعاون، وتحذرهم من الاختلاف والافتراق، وكيف لا يكونون كذلك وقد جعلهم الله بالإسلام إخوانًا، وأمرهم أن يكونوا على البِّر والتقوى أعوانًا؟! قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[(١)].

وللأسف فإن أكثر الدعاة في هذا الزمن لم يعملوا بتلك الوصية الربانية، والنصيحة النبوية؛ فكادهم الشيطان بمسائل لم يجعلها الله تعالى ولا رسوله ﷺ من أصول الدِّين، بل لو تأملها العاقل البصير لوجد أن في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥/١٣٠) رقم (١٧١٥).

جهلها سعة وفي العلم بها فضيلة، فنعوذ بالله من نزغات الشيطان ومصائده، وسوء مكره ومكائده.

لقد وجد الشيطان في هذا العصر بُغْيته في التحريش بين الدعاة المنتسبين للسُّنَّة؛ فأوقعهم في الفُرْقة والتحزب بعد أن عجز أن يوقعهم في الشرك والبدعة؛ ليكونوا بذلك التفرق والتحزب مشابهين للمشركين من حيث لا يشعرون. كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ ـ ٣٢]. قال العلَّامة السعدي ﷺ: (وهذا هو الداء الذي يعرض لأهل الدِّين الصحيح، وهو: أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدِّين بالكلية، سعىٰ في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قُرْة عين اللعين)[1].

لقد وقع بعض الدعاة فريسة سهلة لهذه النزغات الشيطانية، التي أسقطتهم في مصيدة التفرق والتباغض، وغفلوا عن بيان الله وإرشاده لهم، وكأن الله لم يحذرهم من مغبة تلك المكيدة، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ ـ ٣٢]، فقوله ﷻ: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ أي: (فرحون به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق، وأن غيرهم علىٰ باطل، وفي

(١) ذكره السعدي في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣] (ص٣٧٣).

هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فِرَقًا، كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق. بل الدِّين واحد والرسول واحد والإله واحد، وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَىٰ، ويُبْنَىٰ التفرق والشقاق بين المسلمين علىٰ مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضًا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟! فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان، وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟!)[1].

وقال فضيلة العلَّامة الشيخ ابن عثيمين ﷺ: (لا شك أن هذا الذي يحدث بين الشباب الملتزم من التفرق وتضليل بعضهم بعضًا، وحمل العداوة والبغضاء لمن لا يوافقهم علىٰ منهاجهم، لا شك أنه محزن ومؤسف، وربما يؤدي إلىٰ انتكاسة عظيمة، ومثل هذا التفرق هو قرة عين شياطين الإنس والجن)[2].

لقد وصلت حدة الخلاف عند بعض المنتسبين للعلم والدعوة إلىٰ مرحلة خطيرة، فتولَّد فيما بينهم العداوة والبغضاء، حتىٰ أصبح بعض أهل البدع والضلالة يأْمَنون علىٰ أنفسهم أكثر من السُّني المخالف لهم بوجهة النظر والاجتهاد في مسائل ليست من أصول الدِّين، بل لا يكاد يسلم أحد

(١) ذكره السعدي في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، (ص٦٤٠).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (٣٢٣/٢٧).

ممن خالفهم من أن تلوكه تلك الألسن الجارحة بالعبارات الجامحة، سواء كانت في المجالس أو من خلال شبكات الاتصال والتواصل، فقويت بسبب خلافهم شوكة أهل البدع، ولانت قناة دعاة السُّنَّة.

قال الشيخ عبد المحسن العبَّاد حفظه الله: (إن مما يُؤسف له في هذا الزمان ما حصل من بعض أهل السُّنَّة من وحشة واختلاف، مما ترتَّب عليه انشغال بعضهم ببعض تجريحًا وتحذيرًا وهَجْرًا، **وكان الواجب أن تكون جهودهم جميعًا موجَّهةً إلىٰ غيرهم من الكفار وأهل البدع المناوئين لأهل السُّنَّة**، وأن يكونوا فيما بينهم متآلفين متراحمين، يذكِّرُ بعضهم بعضًا برفق ولين)[1].

فيا لله كم صدَّت هذه الفتنة عن دين الله تعالىٰ، وكم تساءل الغيور علىٰ السُّنَّة عن سبب ما يحدث بين أهل دعاة السُّنَّة من فُرْقة واختلاف، وعداوة وبغضاء وإجحاف، ويا لله كم أتت هذه الفتنة علىٰ بركات الدعوة وثمار الصحوة، فتسببت بانتكاسة البعض ممن اشتغل بالفتنة قبل أن يُخالط الإيمان بشاشة قلبه.

ألم تكن لهؤلاء المتنازعين قلوب يعقلون بها، وبصائر يبصرون من خلالها ما ألمَّ بالدعوة من ألَمٍ؟ ألَمْ يعلم أولئك الدعاة أن هذه الفتنة المضلة تقوض صرح هذا الدِّين، وتشتت جماعة المسلمين، وتزرع البغضاء والشحناء بينهم، وتقطع أواصر أخوتهم ومودتهم، وتسقط حملته من أعين عامة المسلمين؟

(١) رفقًا أهل السنة بأهل السنة، للعلَّامة عبد المحسن العبَّاد (ص٨).

إن كثيرًا من طلبة العلم والدعاة ـ في وقتنا الحاضر ـ قد قلَّ حماسهم ونشاطهم في الدعوة، وضعفت عزيمتهم؛ وانزوىٰ بعضهم عاكفًا في مكتبته معتزلًا الناس حذرًا من التجريح، وحفظًا لمقامه وكرامته، والعجب أنك أينما يممت وجهك بلدًا من بلدان المسلمين، وسألت عن أحوال الدعوة والدعاة من أهل السُّنَّة؛ إلا وقد رأيت الحزن يخيِّم علىٰ وجوه الحكماء، والحيرة بادية علىٰ محيا العقلاء والعلماء، إزاء هذه الفتنة الشعواء، والرزية الهوجاء.

بل تجاوز هذا الشقاق والخلاف بلاد المسلمين، فوصلت نار الفتنة إلىٰ بلاد الكفر في مساجد المسلمين ومؤسساتهم ومراكزهم الدينية، فاتسع الخرق علىٰ الراقع؛ وزادت الفجوة وحصلت بينهم الجفوة، وانشغل الدعاة بأنفسهم، وضاعت الأوقات في تتبع العورات تارة، والاتهام بالخيانة والعمالة تارة أخرىٰ، وتوزيع التهم بالتبديع والتفسيق والتضليل والتحريض، وانقلبت الآراء الاجتهادية إلىٰ لون من ألوان التحزب البغيض، وشكل من أشكال العنصرية المقيتة، فظهرت فلسفة تشابه فلسفة أهل الجاهلية القائلة: (كذَّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مُضَر!!).

## ۞ الحذر من الاستسلام لهذا الواقع المرير:

قد يتساءل الناصح لدينه: هل نستسلم لهذا الواقع المرير، وتبقى الأمة مفرقة شَذَر مَذَر كل حزب بما لديهم فرحون؟

وهل أصبح اجتماع أهل السُّنَّة والجماعة ـ مع توحد مصدرهم ـ أمرًا مستحيلًا؟

ومن الذي يضع العقبات أمام بعض المصلحين إن قاموا بالإصلاح؟!

ولماذا كلَّما فتحوا بابًا للخير من أجل جمع قلوب الدعاة فُتح عليهم بابٌ من الشر؛ لإشعال نار الفتنة التي لا يُدرى مَنْ وراءَها؟! ومن الذي ـ كلما انطفأت جذوة نار الفتنة ـ حرص على إيقادها؟

إن مما لا شك فيه أن هذه فتنة؛ ولذا فإن معالجتها تحتاج إلى علم وبصيرة؛ حتى يحذرها الدعاة والمسلمون ويأمنوا من الوقوع في شِرَاكها وحَبَائِلها، فيجب على مَنْ أراد النجاة لنفسه أن يعرف ـ على التحقيق ـ أصول الجماعة وأسباب الفُرْقة، فإن معرفتها من أهم الأمور التي يحتاجها الدعاة وطلبة العلم؛ لطلب الحق والوقوف عليه، خصوصًا ونحن في زمن كثرت فيه الفتن وعظمت المحن، وظهرت الأهواء، وبان فيه إعجاب كل ذي رأي برأيه، مما يتطلب من المؤمن الكيِّس تتبع الأمر لمعرفة أسباب الخلاف؛ للوقوف على مكان الدَّاء ومَكْمَن الدواء.

والمقصود أنه يتحتم على كل غيور على السُّنَّة وأهلها، وهو يرى هذه الفُرْقة والنزاع، أن يسعى في إيجاد حل لما وقع من وحشة واختلاف بين

بعض دعاة أهل السُّنَّة، فيسعى بذلك محبةً ونصيحةً للإسلام ولإخوانه المسلمين، وهذا ما دعاني للكتابة في هذا الأمر: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

## ۞ سبب التأليف:

كان هذا المُؤَلَّف حبيس الأدراج عدة سنوات، وكنت قد جمعته أولًا لنفسي؛ لأكون على بصيرة من هذا الاختلاف، ثم بدا لي ـ بعد تردد ومشاورة ـ أن أخرجه لينتفع به إخواني الدعاة وعموم المسلمين، ونصحني كثير من الإخوة ـ ممن أثق بنصحهم ـ من طلبة العلم، بأهمية إخراجه، والمسارعة في نشره وطباعته.

وإن مما زادني حرصًا وعزمًا على المضي قُدُمًا لإخراج هذا الكتاب حتى يرى النور وعدم التردد في ذلك، هو أن أكثر النقولات التي جمعتها والقواعد التي قيدتها هي لكبار علماء السُّنَّة المتقدمين، وكذلك العلماء البارزين في هذا العصر، ممن عُرِف بسلامة المنهج وصفاء المعتقد والرسوخ والاعتدال، أمثال:

سماحة الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن باز، والشيخ العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رحمهما الله، وغيرهما من العلماء الربانيين، ممن تشرفت بحضور مجالسهم، ولم أرهم يتحزبون، ولم أسمعهم في دروسهم يشتمون أو يسخرون، ثم ازداد يقيني بأهمية طباعة المُؤَلَّف، حينما رأيت تآليف بعض الرسائل لعلماء صادقين مربين[1]، ودعاة مصلحين وناصحين، ممن أَلَّف في أهمية الأمر بالجماعة، والتحذير من الفُرْقة، والبُعْد عن التحزب

(١) **مثال ذلك**: رسالة العلاَّمة بكر أبو زيد رحمه الله (حكم الانتماء)، وكذا رسالته (تصنيف الناس بين الظن واليقين).
وانظر رسالة العلَّامة عبد المحسن العبَّاد حفظه الله: (رفقًا أهل السنة بأهل السنة)، ورسالته (الحث على الاتباع).

والانتماءات الضيقة للجماعات.

ومع قلة البضاعة، إلا أني أرىٰ أنه من النصيحة للإسلام وللمسلمين، المشاركة في معالجة هذا الواقع الأليم، من خلال المساهمة في نشر النقولات المهمة الصادرة عن علماء الأمة، والدلالة علىٰ أهم أصول السنة لتكون سببًا من أسباب الاجتماع، وحصنًا حصينًا أمام سهام الافتراق.

وقد رتبت هذا الكتاب علىٰ النحو التالي:

**أولًا**: المقدمة.

**ثانيًا**: التمهيد، (وجعلته مدخلًا لمعرفة الفَرْق بين الخلاف السائغ والمذموم).

**ثالثًا**: ذكرت أهم أسباب الخلاف بين دعاة أهل السُّنَّة.

**رابعًا**: بيان العلاج للفرقة والنزاع الدائر بين دعاة أهل السُّنَّة.

**خامسًا**: الخاتمة.

ومع ذلك كله أعلم أني أطرق بابًا عظيمًا، أسأل الله تعالىٰ أن لا يُعجزني فتحه، وأن لا يكون سهمًا عليَّ يُعيِيني رده، وأقول كما قال النبي ﷺ في دعائه لربه: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِك، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[(١)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٨٥) رقم (٧٧٠).

# التمهيد

إن الله ﷻ ببليغ حكمته جعل الناس أصنافًا مختلفين، وأطوارًا متباينين؛ ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين، وبالتباين متفقين، وامتَّنَّ الله ﷻ عليهم بنعمة العقل والعلم، وميَّز بعضهم على بعض بالإدراك والفهم، وفاوت في أفهامهم ولو كانوا أنبياءً، فقال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩]، فأثنى الله تعالى على داود وسليمان عليهما السلام بالعلم والحُكْم، وخصَّ سليمان عليه السلام بالفهم، قال ابن تيمية رحمه الله: (ومعلوم أن الناس يتفاوتون في قُوَى الأذهان أعظم من تفاوتهم في قوى الأبدان، فمن الناس من يكون في سرعة التصور وجودته في غاية يُبَاين بها غيره مباينة كثيرة)[1].

ومن علِم أن الاختلاف بين الناس أمر فطري؛ لاختلاف أفهامهم، وتباين فطنتهم، أدرك لا محالة أن (وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقُوَى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٩/١٠٣).

والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة، لم يكد يقع اختلاف، وإنْ وقع كان اختلافًا لا يضر)[1].

ومن تأمل ما حصل من الاختلاف في القرون الفاضلة التي زكَّاها النبي ﷺ، وبالأخص قرن الصحابة رضي الله عنهم، وجد أنَّ ذلك من باب اختلاف الفهوم، وحاشاهم أن يقعوا في الاختلاف المذموم؛ الذي ينشأ عنه الظلم أو التحزب المذموم.

## ۞ هل اختلف الصحابة رضي الله عنهم؟

نعم اختلف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في مسائل عدة، سواء كان هذا الاختلاف في المسائل العلمية أو العملية؛ وحصل بينهم ردود في فهم النصوص، ولكن لم يتفرقوا أو يتباغضوا، ولم يتحزبوا أو يتعصبوا، كل ذلك لم يحصل أبدًا.

وكيف لا يكون الصحابة كذلك في ترك الاختلاف والتباغض والتنازع، وقد سمعوا نهي النبي ﷺ عن التنازع، وكراهيته للخلاف والشقاق قولًا وعملًا، فقد (كان التنازع والاختلاف أشد شيء على النبي ﷺ، وكان إذا رأى من الصحابة اختلافًا يسيرًا في فهم النصوص يظهر في وجهه، حتى كأنما فُقِئَ فيه حب الرمان، ويقول أبهذا أُمرتم؟)[2].

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/٥١٩).
(٢) إعلام الموقعين، لابن القيم (١/٢٥٩).

وبذلك تعلم أيها الأخ المبارك أن كل مسألة حدثت بين الدعاة؛ فاختلفوا فيها ولم يُورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علِمنا أنها من مسائل الدِّين، وكل مسألة طرأت فأورثت بينهم العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدِّين في شيء. قال الإمام السمعاني رحمه الله: (فكل مسألة حدثت في الإسلام، فخاض فيها الناس، فتفرقوا واختلفوا، فلم يُورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضًا ولا تفرقًا، وبقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة، علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام يحل النظر فيها، والأخذ بقول من تلك الأقوال لا يوجب تبديعًا ولا تكفيرًا، كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة.

وكل مسألة حدثت فاختلفوا فيها، فأورث اختلافهم في ذلك التولي والإعراض والتدابر والتقاطع، وربما ارتقىٰ إلىٰ التكفير، علمتَ أن ذلك ليس من أمر الدِّين في شيء، بل يجب علىٰ كل ذي عقل أن يجتنبها، ويُعْرِض عن الخوض فيها؛ لأن الله شرط في تمسكنا بالإسلام أنَّا نصبح في ذلك إخوانًا، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣])[1].

إنه لمن المؤسف في هذا الزمن أن نجد (من يجعل الاختلاف في الرأي الذي يسوغ فيه الاجتهاد سببًا للفُرْقة والشتات، حتىٰ إنه ليضلل أخاه بأمر قد يكون فيه هو الضال، وهذا من المحنة التي انتشرت في هذا العصر،

(١) الانتصار لأصحاب الحديث، للسمعاني (١/٤٩).

على ما في هذا العصر من التفاؤل الطيب في هذه اليقظة من الشباب خاصة، **فإنه ربما تفسد هذه اليقظة، وتعود إلى سبات عميق بسبب هذا التفرق**، وأن كل واحد منهم إذا خالفه أخوه في مسألة اجتهادية ليس فيها نص قاطع ذهب ينفِّر عنه ويسبُّه ويتكلم فيه، وهذه محنة أفرح مَنْ يفرح بها أعداء هذه اليقظة؛ لأنهم يقولون: سُقينا بدعوة غيرنا، جعل الله بأسهم بينهم، حتى أصبح بعض الناس يُبغض أخاه في الدِّين، أكثر مما يُبغض الفاسق والعياذ بالله، وهذا لا شك أنه ضرر، وينبغي لطلبة العلم أن يُدركوا ضرر هذا علينا جميعًا، وهل جاءك وحي من الله أن قولك هو الصواب؟ وإذا لم يأته وحي أن قوله هو الصواب، فما الذي يدريه؟ لعل قول صاحبه هو الصواب، وهو على ضلال، هذا هو الواقع، والآن ليس أحد من الناس يأتيه الوحي، فالكتاب والسُّنَّة بين أيدينا، وإذا كان الأمر قابلًا للاجتهاد، فليعذر أحدنا أخاه فيما اجتهد فيه)[1].

هذا هو الواجب على المسلم تجاه أخيه المسلم حال الاختلاف، أن يلتمس له العذر، ويقوم بواجب النصيحة، ولكن للأسف لم يحدث أيًا من ذلك، بل الواقع في الحقيقة أن كثيرًا من المسلمين ترك ذلك كله، فبغى بعضهم على بعض، (وعاثت بينهم الفتن، ثم خَلَفَتْ خلوف، ضيعت الأوقات في التهويش والتحريش، في العلن تارة، وفي السر تارات، بالغيبة والنميمة، والمعارك الكلامية، والاتهامات الرخيصة، التي لا صحيح فيها إلا أنها غير صحيحة، فأدت بهم الى بَطَر الحق، وغَمْط الناس، وشارك أولئك أعداءهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ويزداد

(١) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/٥٣٨).

الأمر علة، والطين بِلَّة، إذا وقعت تلك المآسي ممن يُنسب إلىٰ العلم والدعوة علىٰ حين غفلة عن قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٣])[1].

(١) وميض من الحرم، للدكتور سعود الشريم (ص١٤٢).

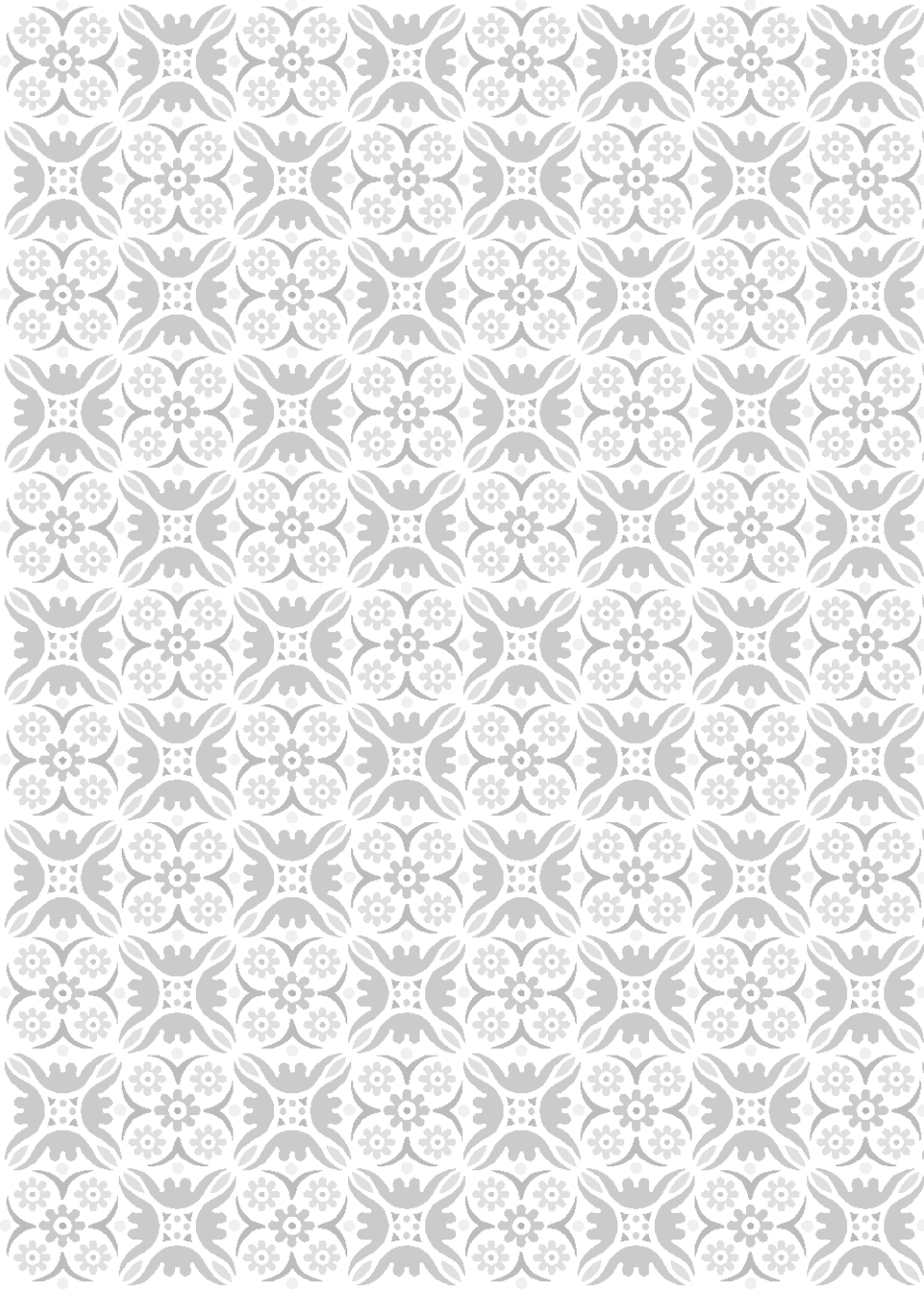

# الفرق بين الاختلاف السائغ والمذموم

إن مما ينبغي على طلبة العلم معرفته؛ ليتجنبوا الوقوع في الفُرْقة والنزاع، إدراك الفروق بين الاختلاف المذموم والاختلاف السائغ[1]، فإن معرفة الفرق بينهما يُعد من الأمور المهمة التي تحتاج من المؤمن الكيّس البحث والتأمل لطلب الحق والوقوف عليه، وكذلك يحتاجها كثير من الدعاة اليوم وغيرهم؛ لكي لا يقع من لا يعرف الفرق بينهما في الخطأ والزلل. فمن الفروق الجوهرية بين الاختلاف السائغ والمذموم:

❊ أن الاختلاف المذموم لا يكون إلا على أصول كبرى من أصول الدِّين التي لا يسع الخلاف فيها، والتي ثبتت بنص قاطع أو بإجماع، أو استقرت منهجًا عمليًا لأهل السُّنَّة والجماعة لا يختلفون عليه، فما كان كذلك فهو أصل، ومن خالف فيه فهو مذموم، أما ما دون ذلك مما يُقْبل فيه الاجتهاد فإنه يكون من باب الاختلاف السائغ.

❊ أن الاختلاف السائغ قد يكون عن اجتهاد ومقصد حسن، يُؤجر عليه المخطئ إنْ كان قصده الوصول للحق، بينما الاختلاف المذموم لا يكون عن اجتهاد ولا عن مقصد حسن، فصاحبه لا يُؤجر على اجتهاده بل

(١) الصحيح أنه لا فرق عند جمهور أهل العلم بين لفظ (الاختلاف) و(الخلاف)، وأنَّ معناهما واحد.

هو مذموم، لأن منشأ الخلاف فيه غالباً لا يكون إلا عن ابتداع أو اتباع لهوىٰ.

❊ أن الاختلاف المذموم يتعلق به الوعيد، وكله شذوذ وهلكة، أما الاختلاف السائغ فليس كذلك مهما بلغ الخلاف بين المسلمين في أمور يسع فيها الاجتهاد، أو يكون صاحب الرأي المخالف له مسوغ، أو يحتمل أن يكون قال الرأي المخالف عن جهل ولم تقم عليه الحجة، أو عن إكراه قد لا يطلع عليه أحد، أو عن تأول ولا يتبين ذلك إلا بعد إقامة الحجة.

(وفُهِم من هذا: أن الاختلاف المذموم المحَذَّر منه هو الاختلاف في أصول الدِّين، الذي يترتَّب عليه اعتبار المخالف خارجًا عن الدِّين، وإنْ كان يزعم أنّه من مُتَّبعيه، فإذا طرأ هذا الاختلاف وجب علىٰ الأمّة قصْمُه، وبذل الوسع في إزالته من بينهم بكل وسيلة من وسائل الحقِّ والعدل: بالإرشاد والمجادلة الحسنة والمناظرة، فإنْ لم ينجع ذلك، فبالقتال كما فعل أبو بكر في قتال العرب الذين جحدوا وجوب الزكاة، وكما فعل علي في قتال الحروريِّة الذين كفَّروا المسلمين)[1].

فالمفارقون للسُّنَّة المارقون عنها، الذين اتبعوا غير سبيل المؤمنين، هؤلاء أهل بدعة وضلالة، ولا يُعاملون معاملة أهل السُّنَّة والجماعة، وليس لهم ما لأهل السُّنَّة من المودة والمحبة والموالاة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (من خالف الكتاب المستبين والسُّنَّة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافًا لا يُعذر فيه، فهذا يُعامل

(١) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٧/٢١٥).

بما يُعامل به أهل البدع)[1].

فتبيَّن من ذلك أن (الخلاف الواقع بين أهل الإسلام ينقسم إلىٰ قسمين:

خلاف سائغ، وخلاف مذموم أو غير معتبر؛ **فالسائغ**: هو الناشئ عن الاجتهاد المأذون فيه، وله عدة صور منها:

١ ـ إذا لم يكن في المسألة نص.

٢ ـ إذا كان فيها نص صحيح لكنه غير صريح.

٣ ـ إذا كان فيها نص صريح لكنه غير صحيح أو مختلف في صحته، أو كان المعارض له أقوىٰ.

أما **الخلاف المذموم**: فهو ما خالف نصًا صريحًا صحيحًا من الكتاب أو السُّنَّة أو خالف الإجماع. وله عدة صور منها:

١ ـ الخلاف الشاذ الذي لم يصدر عن اجتهاد صحيح في الأصل، وهو ما يُعبَّر عنه بزلات العلماء.

٢ ـ الخلاف في قطعيات العقيدة والفروع؛ كخلاف الرافضة والخوارج والمعتزلة، ومن هو علىٰ شاكلتهم، فأقوالهم غير معتبرة ولا يُعتدُّ بها في الخلاف)[2].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٧٢/٢٤).

(٢) إرسال الشواظ علىٰ من تتبع الشواذ، للدكتور صالح الشمراني (ص٦٨ ـ ٧٥) بتصرف.

وبهذا نعلم أن الخلاف السائغ لا ينبغي أن يكون سببًا في اختلاف القلوب وتفرق أهل السُّنَّة، أو حاملًا لهم على التباغض والعداوة، ولو حدث خلاف في الرأي في بعض مسائل الاجتهاد التي لا نص فيها، فإن هذا الخلاف لا يعادل الخلاف الذي فيه نصوص شرعية تحذِّر منه وتحرمه، كالنهي عن التفرق والتباغض والعداوة، بل الواجب التعامل مع ذلك الخلاف الاجتهادي بالرفق والرحمة، بلا تنابز ولا تباغض ولا ظلم.

وينبغي أن يُنَزَّل كل خلاف منزلته، ويُعطى حجمه الحقيقي (فالمسائل الخلافية التي يسوغ فيها الاجتهاد، لا ينبغي للإنسان أن يكون فيها عنيفًا بحيث يضلل غيره، فمن رحمة الله ﷻ أنه لا يؤاخذ بالخلاف إذا كان صادرًا عن اجتهاد، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وأهل السُّنَّة من هديهم وطريقتهم ألا يُضللوا غيرهم ما دامت المسألة يسوغ فيها الاجتهاد)[1].

فليت أولئك المتنازعون يعلمون أن الخلاف في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الاجتهاد، لا يستلزم منها الشقاق والنفرة واختلاف القلوب، بل تقوم على التناصح وحب الخير للمخالفين لهم في اجتهادهم، قال الإمام ابن عبد البر ﷺ: (المسألة إذا كان سبيلها الاجتهاد ووقع فيها الاختلاف، لم يجز لأحد القائلين فيها عيب مخالفه ولا الطعن عليه؛ لأنهم ـ أي: الصحابة ـ اختلفوا وهم القدوة، فلم يَعِب أحد منهم على صاحبه اجتهاده، ولا وجد عليه في نفسه، إلى الله الشكوى وهو المستعان على أمة

(١) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/٥٤).

نحن بين أظهرها تستحل الأعراض والدماء إذا خُولفت فيما تجيء به)[1].

فإذا كان الإمام ابن عبد البر رحمه الله يشتكي من بعض أهل زمانه ممن يستحل الأعراض والدماء في الخلاف السائغ؛ فكيف به لو رأىٰ أهل هذا الزمن الذي نحن فيه؟! وماذا عساه أن يقول؟!

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (٨/٣٦٧).

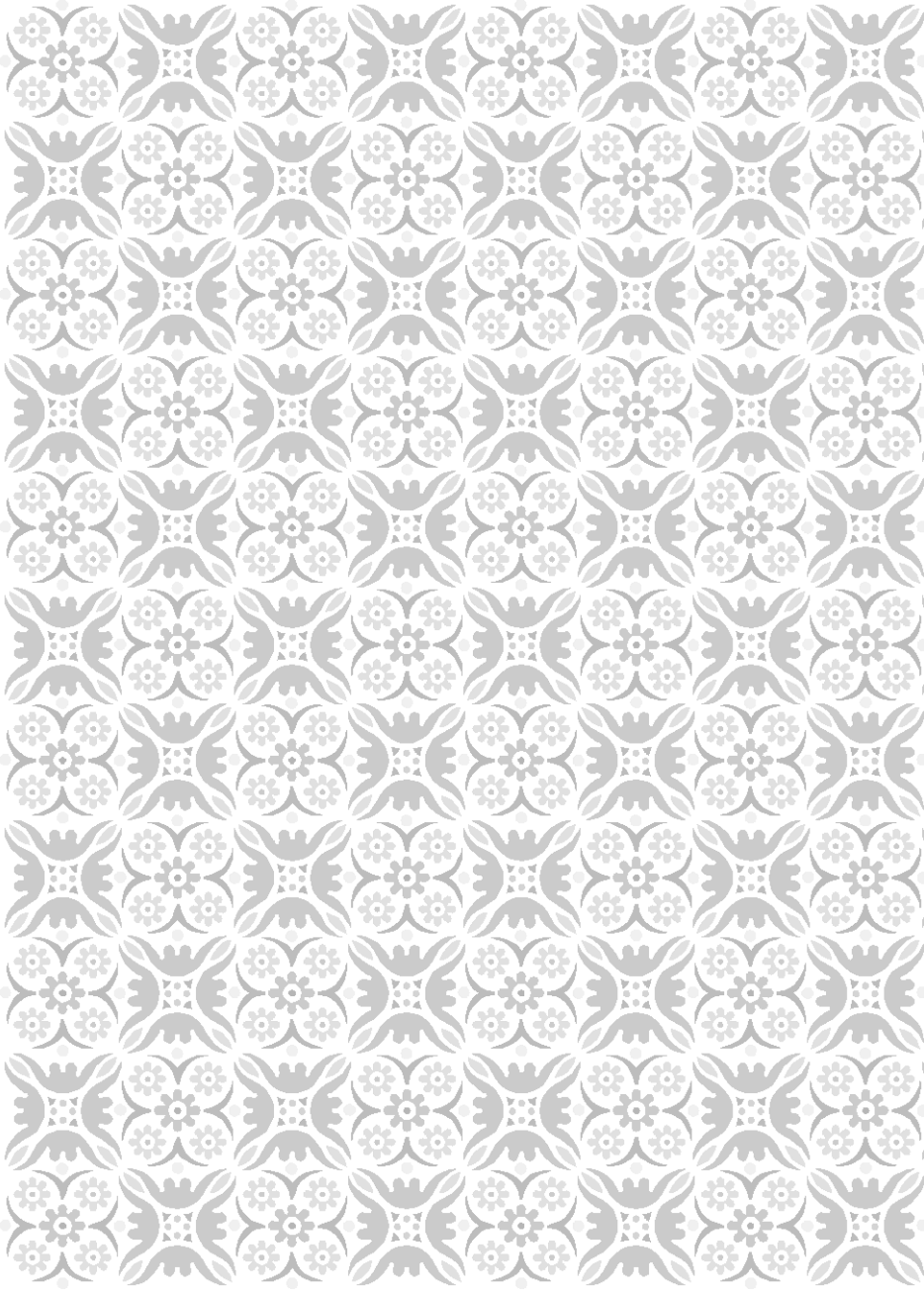

# أسباب الاختلاف

## أولًا: الجهل بالشرع

كلما ابتعد الزمان عن عصر النبوة والقرون المفضلة خفي على الناس ما كان معروفًا ظاهرًا، والتبسَ عليهم ما لم يكن مُلْتَبِسًا على مَنْ كان قبلهم، بل قد يلتبس على الخاصة من طلبة العلم والدعاة في أهم مسائل الدِّين؛ ولذلك (قَلَّ من يَسْلم من مثل ذلك في المتأخرين؛ لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبُعْد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة، الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلمَّا طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهرًا لهم، ودق على كثير من الناس ما كان جليًا لهم، فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسُّنَّة ما لم يكن مثل هذا في السلف. وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين، يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم. وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلًا يعملها في ذلك الزمان؛ لأنهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك، وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك)[2].

(١) دَرْء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٢/١٠٣).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/٦٥).

ومع خفاء بعض المسائل الشرعية على كثير ممن يريد الحق، نتيجة قلة البحث منه في معرفة الحق تارة، وقلة الحرص بقصد الوصول إليه تارة أخرى، تظهر كثرة الخصومات والمنازعات بين المختلفين، فبمجرد الاختلاف في مسألة ما من مسائل الدِّين يحدث النزاع؛ وتكثر بعدها الشقاقات والمهاترات بين الدعاة، ويزداد الأمر سوءًا إذا اقترن بذلك هوى النفس الخفي، فلا تسأل حينئذٍ عن هوة الخلاف، وكثرة الشقاق، وظهور التباغض، وازدياد التناحر.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (ولمَّا كُثر اختلاف الناس في مسائل الدِّين وكُثر تفرقهم؛ كُثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يُظهر أنه يُبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر معذورًا، وقد لا يكون معذورًا، بل يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة ما يُبغض عليه، **فإن كثيرًا من البُغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق**، وهذا الظن خطأ قطعًا، وإنْ أُريد أنه لا يقول إلا الحقَّ فيما خولف فيه، فهذا الظن قد يُخطئ ويُصيب، وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى والألفة أو العادة، وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله، فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه، ويتحرز في هذا غاية التحرز، وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم)[1].

إن الجهل بمسائل الشرع أو عدم الفهم الصحيح؛ لِقِصَر الإدراك

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/٢٦٧).

بتصور أدلته تصورًا كاملًا ، أو التقصير في تدبر مقاصد الشريعة وأصولها ، ومعرفة المصالح والمفاسد؛ هو في الحقيقة من أعظم أسباب الخلاف المؤدي للتنازع بين دعاة أهل السُّنَّة ، فإن الخلاف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (يكون سببه ـ تارة ـ جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر ، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل ، وإن كان عالمًا بما مع نفسه من الحق حكمًا ودليلًا)[1].

**فكلما قلَّ العلم في مسائل الخلاف ، اتسعت رقعة النزاع** ، فظهرت الأهواء ، وعظم الجهل الذي هو من أعظم الأسباب الجالبة للفرقة والتنازع بين المسلمين ، وسبب عظيم لظهور الجفاء. كما قال الإمام مالك رحمه الله: (إذا قلَّ العلم ظهر الجفاء ، وإذا قلَّت الآثار كثرت الأهواء)[2].

## ۞ الأصاغر غالبًا هم منشأ الخلاف والتنازع:

جاء في مصنف قاسم بن أَصْبَغ بسند صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (فساد الدِّين إذا جاء العلم من قِبَل الصغير استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قِبَل الكبير تابعه عليه الصغير)[3].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية (١/١٤٨).
(٢) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر (١/٣١٤).
(٣) فتح الباري ، لابن حجر (١/٣٠١).

من قِبَل أكابرهم، فإذا أتاهم من قِبَل أصاغرهم هلكوا)[1].

قال القاضي عبد الوهاب المالكي:

متىٰ يصل العطاش إلىٰ ارتواءٍ ... إذا استقت البحارُ من الركايا
ومن يثني الأصاغر عن مرادٍ ... إذا جلس الأكابر في الزوايا
وإنَّ ترفع الوضعاء يومًا ... علىٰ الرفعاءِ من إحدىٰ الرزايا
إذا استوت الأسافلُ والأعالي ... فقدْ طابتْ منادمةُ المنايا

ولئن كان صِغر العمر محلًا للجهل غالبًا؛ إلا أن الجهل ليس مقرونًا بصغر العمر أو كبره؛ وإنما الأصاغر هم من لا علم شرعي صحيح عندهم؛ ولو كانوا من الأكابر في أعمارهم. (ومما يدل علىٰ أن الأصاغر ما لا علم عنده: ما ذكره عبد الرزاق وغيره، عن مَعْمَر، عن الزهري، قال: كان مجلس عمر مغتصًّا من القراء شبابًا وكهولًا، فربما استشارهم ويقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإنَّ العلم ليس علىٰ حداثة السن وقدمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء)[2].

إن من تأمل غالب الصراعات والخلافات الناشئة بين الجماعات المنتسبة للسُّنَّة، يجد أنها غالبًا تَحدُث من جهة صغار طلبة العلم الذين لم يتأصلوا فيه؛ فهم منشأ الخلاف والتنازع، وهم مبدأ الشرارة التي تُوقِد خلفها النار العظيمة فإن (الناس علىٰ طبقات ثلاث، فالطبقة العالية العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإنِ اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/٣١٤).
(٢) المرجع نفسه (١/٣١٦).

الفتن؛ لعلمهم بما عند بعضهم بعضًا، والطبقة السافلة عامة على الفطرة، لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به إنْ كان محقًا كانوا مثله، وإنْ كان مبطلًا كانوا كذلك، والطبقة المتوسطة هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدِّين، وهم الذين لم يُمْعِنوا في العلم حتى يرتقوا الى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة)[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وكثيرًا ما يضيع الحق بين الجهال الأميين وبين المحرفين للكَلِم الذين فيهم شعبة نفاق، كما أخبر سبحانه عن أهل الكتاب حيث قال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] إلى قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨])[2].

وقال ابن حزم رحمه الله: (لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها؛ فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويُقدرون أنهم يصلحون)[3].

ومن العجب في هؤلاء ـ الدخلاء على العلم ـ والعجائب بهم جمَّة، أنهم شُغلوا في تتبع زلات العلماء، والاستدراك على كل فتوى، وآخرون عقدوا مجالسًا للجرح والتعديل دون مسوِّغ واكتمال أهلية، وكأن أحدهم

(١) البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع للشوكاني (١/٤٥١)، ففي ترجمة علي بن قاسم حنش، قال الشوكاني: «ومن محاسن كلامه الذى سمعته منه....»، ثم ذكر الكلام السابق عنه.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٥/١٢٩).

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم (ص٩١).

الإمام أحمد بن حنبل أو يحيىٰ بن معين!!

ولقد رأيت شابًا لم يمضِ على استقامته سوىٰ سنتين تقريبًا أو أقل، عقد مجلسًا للدروس في المسجد؛ ليشرح كتابًا لا يتصدر له إلا فحول العلماء وجهابذتهم ممن لهم قدم راسخة في العلم؛ ولكنَّ هذا الشاب ارتقىٰ مرتقىٰ صعبًا؛ فقام بشرح كتاب يدور موضوعه حول: ميزان نقد الرجال! والمصيبة أنه ما اختار هذا الكتاب وقدَّمه علىٰ غيره إلا ليكون مسوغًا لمنهجه في جرح إخوانه الدعاة، ونشر معايبهم ومثالبهم.

تصدَّر للتدريس كل مُهوَّسٍ ... بليدٍ تسمَّىٰ بالفقيه المُدرسِ
فحُقَّ لأهل العلم أنْ يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلسِ
لقد هزُلتْ حتىٰ بدا من هُزَالها ... كُلَاها وحتىٰ سَامَهَا كلُّ مُفلسِ

قال سليمان بن سالم: (قال لي أبو سنان: إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدِّين، يتعلم الوقيعة في الناس، متىٰ يفلح؟)[(١)].

## ۞ الجهل بمعرفة مراتب البدعة وأحكامها:

من أعظم أسباب الخلاف أيضًا: الجهل بمعرفة مراتب البدعة وأقسامها، والضابط الذي يصح معه أن يُطْلَقَ علىٰ المخطئ اسم المبتدع، فإن الجهل بذلك أدَّىٰ بالدعاة إلىٰ سلوك طريقين معوجَّيْن، كلاهما مخالف لفهم علماء السلف، فوقعوا بين الإفراط والتفريط، فرتبوا علىٰ ذلك الفهم الخاطئ وجوب عقد راية الولاء أو البراء، ووجوب التحذير والبغضاء لكل

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (١/٢٤٢).

مَنْ وقع في زلة أو حصلت منه هفوة، وقابل هؤلاء أهل التفريط، فأظهروا كراهية بيان الخطأ بالأدلة والاحتجاج، ورفضوا مع وضوح الزلل لهم، البيان وتقويم الاعوجاج!

إن الجهل بمراتب البدع جعل البعض من صغار طلبة العلم لا يفرق بين البدع الكبرىٰ والصغرىٰ، ووصل بهم الغلو أنْ جعلوها في مرتبة واحدة وفي ميزان واحد، ولم يفرقوا أيضًا بين مراتب الناس الواقعين فيها، ولم يعذروا أحدًا بجهله، وأوجبوا علىٰ إخوانهم أن يسلكوا مسلكهم في طريقة الإنكار، فأنزلوا بعض الآثار الواردة عن السلف في ذم المبتدعة، علىٰ كل من وقع في زلة أو مخالفة من إخوانهم أهل السُّنَّة.

إن مما لا شك فيه أن البدع أخطر من الكبائر، هذا أمر متقرر عند كل من له علم بالكتاب والسُّنَّة، وكيف لا تكون كذلك والنبي ﷺ قد حذَّر من البدع وبيَّن خطورتها، وأنها كلها ضلالة، صغيرها وكبيرها، فالبدع وإن كانت تختلف في دركاتها، فلا يوجد منها بدعة حسنة أو مستحبة، فلفظ البدعة في النصوص الشرعية جاء مذمومًا لا محمودًا «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

ومن المعلوم أن تلك الضلالة ليست علىٰ درجة واحدة، ولكنها في الحقيقة تنقسم إلىٰ قسمين:

بدعة مكفرة وبدعة مفسقة، أو بمعنىٰ آخر قد تكون بدعة كبرىٰ مخرجة من الإسلام باتفاق العلماء، وقد تكون بدعة صغرىٰ لا تخرج من دائرة الإسلام باتفاق العلماء، وقد يكون هناك من البدع ما هو دون ذلك؛

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥/١٢) رقم (٤٦٠٧).

فيُعْذر صاحبها مع حكمنا على تلك البدعة بالضلالة، ووجوب ردِّها، وبيان ضلالها للناس لكي لا يغتروا بها.

قال العلَّامة ابن عثيمين ﷺ: (نحن نؤمن بأن كل بدعة ضلالة، ثم هذه الضلالات تنقسم إلى: بدع مكفرة، وبدع مفسقة، وبدع يُعْذر فيها صاحبها. ولكن الذي يُعْذر صاحبها فيها لا تخرج عن كونها ضلالة، ولكن يُعْذر الإنسان إذا صدرت منه هذه البدعة عن تأويل وحسن قصد)[1].

وذكر ﷺ أيضًا أن: (البدعة المكفرة أو المفسقة لا نحكم على صاحبها أنه كافر أو فاسق حتى تقوم عليه الحجة، لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولو كان الإنسان يكفر ولو لم تقم عليه الحجة لكان يعذب، وقال ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، والآيات في هذه كثيرة. فعلينا أن نتئد وأن لا نتسرع، وأن لا نقول لشخص أتى ببدعة واحدة من آلاف السُّنَن إنه رجل مبتدع)[2].

إن من المصائب التي ابتليت بها هذه الصحوة المباركة، أن غالب من يتصدى لأخطاء العلماء والدعاة من أهل السُّنَّة ويرميهم بالبدع، هم أنصاف المتعلمين وصغار طلبة العلم الأغمار، الذين عُرِفوا بالجرأة

(١) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص٢٨٧).
(٢) المرجع نفسه (ص٢٩٠).

بوصف كل من خالفهم بالبدعة، جهلًا منهم بضابط البدعة[1]، حتىٰ رموا بعض كبار أهل العلم والدعاة من أهل السُّنَّة ـ ممن اجتهد فأفتىٰ بأشياء تخالف ما هم عليه ـ بالبدعة، وألحقوهم بالجماعات الحزبية والبدعية.

فالحكم أن هذا القول بدعة، وأن صاحب هذا القول متبدع ليس إلىٰ أفراد من علم شيئًا من السُّنَّة، وإنما هو في الحقيقة لأهل العلم الراسخين.

فمن هو المسؤول عن تربية أمثال هؤلاء؟ ومن يشجعهم علىٰ الجرأة علىٰ مثل تلك الأمور التي هي من شأن أهل العلم؟

قال شيخنا العلَّامة صالح الفوزان حفظه الله: (لا ينبغي للطلبة المبتدئين وغيرهم من العامة أن يشتغلوا بالتبديع والتفسيق؛ لأن ذلك أمر خطير، وهم ليس عندهم علم ودراية في هذا الموضوع، وأيضًا هذا يُحْدِثُ العداوة والبغضاء بينهم، فالواجب عليهم الاشتغال بطلب العلم وكَفِّ ألسنتهم عمَّا لا فائدة فيه، بل فيه مضرة عليهم وعلىٰ غيرهم)[2].

ومن العجب أنك تجد كثيرًا مِنْ هؤلاء الأغمار في العلم، يحتاط في مسائل الحكم بالتكفير لخطورة التكفير عنده، ومع ذلك لا تراه يحتاط في مسائل التبديع لسهولتها لديه، ويزداد الطين بِلَّة حينما تراه يَحثُ ويجرِّئ غيره من الصغار وحُدَثَاءِ الأسنان علىٰ الولوج في تلك المسائل الخطيرة،

(١) لست بصدد تعريف البدعة وأنواعها وضوابطها، ومن أراد التوسع فلينظر في الرسائل المتخصصة، ومن الكتب النافعة في هذا الباب التي أنصح بها، كتاب: (حقيقة البدعة وأحكامها) للدكتور: سعيد الغامدي، وقد نصحني به شيخنا العلاَّمة عبد الله بن غديان ﷾.

(٢) المنتقىٰ من فتاوىٰ الفوزان (٦/٤٥).

ويهون من شأن الخوض فيها.

فعلىٰ هؤلاء أن يتقوا الله ﷻ، وأن يتفقهوا في دين الله، وأن يتعلموا حقيقة ما يترتب علىٰ ذلك من القدح في عقيدة الولاء والبراء، كما أنه يلزمهم معرفة الضوابط التي حددها علماء السُّنَّة للرد علىٰ المخالف، قبل الخوض في أعراض إخوانهم من أهل العلم والدعاة باسم: (الغيرة علىٰ السُّنَّة).

إنه لمن المؤسف حقًا أن يتجرَّأ البعض ـ باسم السُّنَّة ـ فيبدع ويضلل من يشاء، بل وينسب ذلك لعلماء السلف إما جهلًا منه أو بهتانًا وزورًا، ولا شك أن الأمر كما قال شيخنا عبد المحسن العبَّاد: (يزداد سوءًا حينما يستسهل بعض الدعاة إطلاق البدعة علىٰ كل من يخالفه أو يخالف ما عرفه وأَلِفَه، دون تمحيص للحق أو رجوع لأهل العلم الكبار الذين رسخت أقدامهم فيه)[1].

لقد تجرَّأ البعض فأخرج من السُّنَّة كل من حصلت منه هفوة أو سقطة، أو خالف طريقته ومنهجه، ولم يبالِ بخطورة ما قاله في حق إخوانه من تصنيف ذلك الداعية أو تلك الطائفة؛ بأنهم من فرق المسلمين الثلاث وسبعين، فوصل البغي ببعضهم أن يتهم بعض إخوانه من أهل السُّنَّة بأنهم: خوارج، فيبادلهم الآخرون الهوىٰ فيصفونهم بأنهم مرجئة!!

قال إمام السُّنَّة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: (إخراج الناس من السُّنَّة شديد)[2]. صدق ﷺ، فإخراج الناس من السُّنَّة شديد عند أهل العلم

(١) رفقًا أهل السنة بأهل السنة، للعلامة عبد المحسن العبَّاد (ص٢٢).
(٢) السنة، للخلال (٢/٣٧٣).

والورع؛ ولكنه يسير على أهل الجهل والهوى، الذين حملهم الغلو والعُجب بالنفس على أنْ يسلكوا هذا المسلك الوعر، والطريق الخطر، فليحذر أولئك من هذا الغلو الذي قد يخرجون ويمرقون بسببه من السُّنَّة كما مرق الخوارج من الإسلام بسبب غلوهم في دينهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة؛ حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيُعْلَمُ أن المنتسب إلى الإسلام أو السُّنَّة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام والسُّنَّة حتى يدعي السُّنَّة من ليس من أهلها، بل قد مرق منها، وذلك بأسباب: منها الغلو الذي ذمَّه الله تعالى في كتابه)[1].

فيا دعاة السُّنَّة اتقوا الله في إخوانكم، واعلموا أنَّ قذفكم إياهم بهذه الأحكام المتعجلة تُفسدون ولا تصلحون، وأي فساد أعظم من أن يتجرَّأ البعض على إخوانه باسم السُّنَّة، وهو ممن لم يعرف الأصول الكلية لأهل السُّنَّة والجماعة، ثم هو يتكلم في الجزئيات بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ فلذلك لا يستغرب إذا وقع في الظلم والجهل. قال ابن تيمية رحمه الله: (ونحن نذكر «قاعدة جامعة» في هذا الباب لسائر الأمة فنقول: لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية تُرد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات؛ فيتولَّد فساد عظيم)[2].

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/٣٨٣).
(٢) المرجع نفسه (١٩/٢٠٣).

ولا شك أن كل ذلك الفساد وتلك الفوضىٰ تولَّدت بسبب الجهل بالأصول الكلية، فإن الجهل بحقيقة البدعة وضوابطها، وعدم معرفة الفرق بين البدع وأنواعها وشروطها، والمبتدعة وأحوالهم، هو الذي أوقع هؤلاء في مثل تلك الأهواء والنزاعات.

ومما ينبغي أن يُعلم أن أهل البدع حقيقة: هم الذين فارقوا أهل السُّنَّة في أصل أو أصول عدَّة، فجعلوا تلك الأصول المخالفة للكتاب والسُّنَّة ـ والقول بها والدفاع عنها والدعوة إليها ـ هي الحق التي يجب أن يُتعبد بها، أما كون الشخص يقع في بدعة في مسألة من المسائل اجتهادًا منه، ثم يأتي من أهل الجهل والغلو مَنْ يُلْحِقُه بأهل البدع أو يخرجه من أهل السُّنَّة، وهو في عامة الأصول موافق للسُّنَّة، فهذا هو البغي المخالف لما عليه سلف الأمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذمومًا معيبًا ممقوتًا، فهو مخطئ ضال مبتدع)[1].

فإذا تقرر هذا تبين أنه لا يصح أن يُطلق علىٰ كل من اجتهد من العلماء ووقع في بدعة بأنه من المبتدعة، بل الصواب أننا (إذا رأينا شخصًا من العلماء المعتبرين المعروفين بالنصيحة أخذوا بشيء مما ذهب إليه أهل البدع لا يصح أن نقول هو منهم، وهو علىٰ مذهبهم، بل نقول: هؤلاء ـ لَمَا نرىٰ لهم من النصيحة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعباد الله ـ إذا أخطؤوا في مسألة، فإن ذلك الخطأ صادر عن اجتهاد، ومن اجتهد من هذه الأمة

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١١/١٥).

فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد)[1].

إن من تتبع كلام بعض العلماء السابقين رحمهم الله وجد أنه لا يكاد يسلم أحدٌ منهم من الهنات والأخطاء في بعض مسائل الدِّين، التي هم فيها مجتهدون ومعذورون، بل ويثابون على اجتهادهم وحسن وسلامة مقصدهم. قال ابن تيمية رحمه الله: (لا ريب أن المجتهد إذا أخطأ فيما يسوغ فيه الاجتهاد يعفى عنه خطؤه ويثاب، لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[2] لذا يعذر كثير من العلماء والعبَّاد بل والأمراء، فيما أحدثوه لنوع اجتهاد؛ فإن كثيرًا من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة؛ إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يُرَدْ منها، وإما لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم. وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي الصحيح أن الله قال: «قد فعلت»)[3].

وأوضح رحمه الله أيضًا أنَّ: (المجتهد المُستدِل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومناظر ومفتٍ وغير ذلك، إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع، كان هذا هو الذي كَلَّفَه الله إياه، وهو مطيع لله مستحق للثواب، إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله البتة)[4].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٧/٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/١٠٨) رقم (٧٣٥٢)، ومسلم في صحيحه (٥/١٣١) رقم (١٧١٦).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٩/١٩١).

(٤) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٥/١١١).

أضف إلىٰ ذلك أن المجتهد إذا اجتهد اجتهادًا معتبرًا سائغًا فأخطأ، فإنه لا يُذكر علىٰ وجه الذم، قال ابن تيمية ﷺ: (ومن عُلِم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يُذْكر علىٰ وجه الذم والتأثيم له؛ فإن الله غفر له خطأه؛ بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوىٰ موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه: من ثناء ودعاء وغير ذلك)[1].

وقال: (ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدِّين من جهة الرسول ﷺ وأخطأ في بعض ذلك، فالله يغفر له خطأه تحقيقًا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن اتبع ظنه وهواه، فأخذ يشَنِّعُ علىٰ من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنَّه صوابًا بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسُّنَّة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يُعظِّمه هو من أصحابه، فقَلَّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبُعْد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة، الذي به يحصل الهدىٰ والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا؛ فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة،

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/٢٣٤).
(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٢/١٠٣).

وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ؛ وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك: فهذا أولىٰ ؛ بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا ، وقد لا يكون ناجيًا ، كما يقال: من صمت نجا)[١] .

هذا المنهج حقيقة هو منهج الوسطية ، منهج أهل السُّنَّة والجماعة (فمن خالف هذا المنهج بتأثيم أحد من العلماء بسبب خطئهم في مثل هذه المسائل ، فقد خرج عن منهج أهل السُّنَّة في هذا الباب ، ووافق أهل البدع ـ من حيث يدري أو لا يدري ـ فإن أهل البدع هم الذي يُؤثِّمون المخالف لهم)[٢] .

فما بال أقوام من بعض طلبة العلم يسلك مسلك الغُلاة مع إخوانهم السُّنَّة فضلًا عن غيرهم ؛ حتىٰ أضافوا مع تخطئتهم لمن وقع في زلة أو هفوة بأن رتبوا عليه الإثم ، وقاموا بالتحذير منه والتنفير عنه وهجرهم له .

فيا أيها الدعاة: اتقوا الله في إخوانكم وانظروا في أقوالكم ، وزِنوا منهجكم بميزان السلف ، وحذار أن تتزيَّنوا بلباس السُّنَّة بذم من لا تحبون ، وتأثيم من تكرهون ، وقولوا جميعًا: (نبرأ إلىٰ الله من الهوىٰ والبدع ، ونحب السُّنَّة وأهلها ، ونحب العالم علىٰ ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة ، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن)[٣] .

(١) مجموع الفتاوىٰ ، لابن تيمية (١٧٩/٣) .
(٢) موقف أهل السنة من أهل الأهواء ، للدكتور إبراهيم الرحيلي حفظه الله (٧١/١) .
(٣) سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٤٦/٢٠) .

## ۞ الجهل بمعرفة مسائل الأسماء والأحكام:

عندما نبحث عن سبب الخلاف الواقع بين الدعاة المنتسبين للسُّنَّة، نجد أن من أهم أسبابه: الجهل بمعرفة (مسائل الأسماء والأحكام)، فالجهل بذلك هو الذي أوقع هؤلاء في الغلو بتبديع أو تفسيق المخالف في المسائل الاجتهادية أو في التأويل السائغ وتأثيم المخالف، فكم جرَّ هذا الغلو على الأمة الويلات، وكم جلب على المنهج السلفي بالأخص النكبات والعداوات.

قال ابن تيمية ﷺ: (وهذا من أسباب فتنٍ تقع بين الأمة فإن أقوامًا يقولون ويفعلون أمورًا هم مجتهدون فيها، وقد أخطئوا، فتبلغ أقوامًا يظنون أنهم تعمَّدوا فيها الذنب، أو يظنون أنهم لا يُعذرون بالخطأ، وهم أيضًا مجتهدون مخطئون، فيكون هذا مجتهدًا مخطئًا في فعله، وهذا مجتهدًا مخطئًا في إنكاره، والكل مغفور لهم. وقد يكون أحدهما مذنبًا كما قد يكونان جميعًا مُذْنِبِينَ)[1].

إن كثيرًا من هؤلاء المتنازعين يجهل أن المسائل الاجتهادية التي خالف فيها الرجل الحقَّ مجتهدًا لا إثم عليه فيها، وليس هو ممن يُذَم شرعًا، أو ممن ينبغي أن يُعنَّف أو يُغلظ عليه بسبب خطئه فيها؛ فضلًا على أن يُساء به الظن؛ فيُبدع أو يُفسق أو يُهجر.

من يتأمل هذا النوع من الخلاف بين الدعاة في المسائل الاجتهادية، يجد أن فيه نوع هوى وبغي، فإن مسائل الاجتهاد لا يجوز أن يكون معها

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/٥٤٦).

فُرْقة وعداوة وتنازع. قال ابن تيمية رحمه الله: (الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفُرْقة إلا مع البغي، لا مجرد الاجتهاد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فلا يكون فتنة وفُرْقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغي)[١].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: (المسائل الخلافية التي يسوغ فيها الاجتهاد؛ لا ينبغي للإنسان أن يكون فيها عنيفًا بحيث يُضلل غيره، فمن رحمة الله عز وجل أنه لا يؤاخذ بالخلاف إذا كان صادرًا عن اجتهاد، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وأهل السُّنَّة والجماعة من هديهم وطريقتهم ألا يُضَللوا غيرهم ما دامت المسألة يسوغ فيها الاجتهاد)[٢].

لقد وصل الجهل ببعض هؤلاء المتنازعين أن يسلك مسلك أهل البدع، وذلك بجعلهم كل من أخطأ في هذه المسائل الاجتهادية مذمومًا وممقوتًا، وهذا ليس من هدي وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة، بل هو مسلك أهل البدع والضلال.

(١) الاستقامة، لابن تيمية (١/٣١).

(٢) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/٥٤).

## ۞ الجهل بحقيقة الإيمان وشُعبه:

إن من أهم الأصول الكلية عند أهل السُّنَّة والجماعة التي غفل عنها المتنازعون، أن الإيمان شُعب كثيرة، والكفر شعب كثيرة، وأن الرجل قد يجتمع فيه من شُعب الإيمان ومن شعب الكفر كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] فأثبت لهم ﷻ الإيمان مع وجود الشرك، وقد يجتمع في المسلم من شعب الإيمان وشعب النفاق، وتجتمع فيه سنة وبدعة، ولا يلزم من وجود شيء من شعب الإيمان وجوده كله، ولا من وجود شيء من شعب الكفر أو النفاق وجوده كله، فينبغي للدعاة أن يعلموا ذلك، فإنه من المهمات العظيمة.

فإن معرفة هذا الأصل العظيم (من أعظم أصول أهل السُّنَّة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية)[(١)].

قال حذيفة بن اليمان ﷺ: (القلوب أربعة: قلب أَغْلَفُ فذاك قلب الكافر، وقلب مُصْفَحٌ فذاك قلب المنافق، وقلب أجرد كأن فيه سراجًا يزهو، فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل المنافق كمثل قَرْحَةٍ يمدها قَيْحٌ ودَمٌ، وهو لأيتهما غلب)[(٢)].

قال ابن تيمية: (ليس كل من دخل عليه شعبة من شعب النفاق والزندقة، فقبلها جهلًا أو ظلمًا يكون كافرًا منافقًا في الباطن، بل قد يكون

(١) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم (ص٧٨).
(٢) الإبانة الكبرىٰ، لابن بطة (٢/٦٩٦).

معه من الإيمان بالله ورسوله ما يجزيه الله عليه، ولا يظلم ربك أحدًا)[1].

فهذا الأصل يُعدُّ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة المهمة، والذي قد غفل عنه كثير من المتنازعين من الدعاة وطلبة العلم، وقد نبَّه الإمام ابن القيم رحمه الله لهذا الأصل العظيم وبيَّنه حيث قال رحمه الله:

(إنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يُسمىٰ مؤمنًا، وإن كان ما قام به إيمانًا، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمىٰ كافرًا، وإن كان ما قام به كفرًا)[2].

إن المسلم قد تجتمع فيه حسنات وسيئات، فلا يخرج من دائرة الإسلام بذنب أذنبه، وكذلك لا يخرج من الإسلام ببدعة ابتدعها متأولًا، ولا يخرج السُّنِّي من دائرة السُّنَّة بمخالفة وقع فيها، سواء كانت علمية أو عملية.

فإنه قد تجتمع في الرجل شعبة من شعب السُّنَّة وشعبة من شعب البدعة، ولا يلزم من وجود شعبة من شعب السُّنَّة أن يسمىٰ سنيًا، ولا من وجود شعبة من شعب البدعة أن يسمىٰ بدعيًا.

فقد يكون الرجل ـ مثلًا ـ من أهل السُّنَّة وفيه من شعب الخوارج والعكس، ولا يلزم من وجود شعبة من شعب الخوارج أن يكون خارجيًا، وهكذا لا يلزم من كان فيه شعبة من شعب السُّنَّة ـ وهو من الخوارج ـ أن يكون سنيًا.

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/٣٠٨).
(٢) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم (ص٨٠).

وإليك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض الزهاد والعباد؛ ليتضح لك بجلاء هذا الأصل المهم قال ﵀: (ولا ريب أن كثيرًا من النُّسَّاك والعُبَّاد والزهاد قد يكون فيه شعبة من الخوارج، وإن كان مخالفًا لهم في شعب أخرىٰ)[(١)].

وتأمل أيضًا ما جاء في ترجمة ورقاء بن عمر بن كليب اليشكري حيث قال عنه الإمام الذهبي: (ورقاء بن عمر بن كليب، الإمام الحجة، شيخ السُّنَّة، أبو بشر اليشكري، الكوفي، نزيل المدائن. قال أحمد بن حنبل: ثقة صاحب سنة. وقال أبو داود: قال لي شعبة: عليك بورقاء؛ فإنك لن تلقىٰ مثله حتىٰ ترجع. قال عنه الإمام أبو داود السجستاني: ورقاء صاحب سنة إلا أن فيه إرجاء)[(٢)].

وانظر كيف يقرر علماء السُّنَّة هذا الأصل في فتاواهم ودروسهم، من ذلك ما أجاب به العلَّامة ابن عثيمين ﵀ حينما سُئل ﵀: هل إذا تكلم أحد من العلماء ببدعة، أو سلك منهج قوم مبتدعة في مسألة من المسائل فهل يُعد منهم؟

فقال ﵀: (الجواب: لا، لا يُعد منهم، ولا يُنسب إليهم إذا وافقهم في مسألة من المسائل، ولا يصح أن يُنسب إليهم نسبة مطلقة)[(٣)].

قال شيخنا الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: (هل من شارك

(١) الاستقامة، لابن تيمية (١/٢٦٠).
(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/٢٣٠).
(٣) لقاء الباب المفتوح، لابن عثيمين (٥٧/١٥).

الخوارج في صفة من صفاتهم يصح أن يُطلق عليه خارجي؟

أنا أتوقف في هذا، ما أُطلق عليه أنه خارجي يوصف مثلًا: عنده الكلام مثلًا في مسائل الإمامة، أو لا يرىٰ الولاية، أو عنده مثلًا مسائل، فيقال فيه خارجية، مثل ما جاء في حديث النبي ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيْكَ جاهلية»[1]. فإذا كان فيه صفة يقال: فيه أشعرية، فيه خارجية)[2].

هذه هي أصول أهل السُّنَّة التي ـ للأسف ـ جهلها بعض أولئك الدعاة؛ مما ترتب علىٰ الجهل بها كثير من النزاع والتباغض، فيا ليتهم رجعوا للعلماء الكبار إذ جهلوا، فسألوهم واستمعوا لهم، ولو حصل منهم ذلك لكان خيرًا لهم.

فانظر رحمك الله إلىٰ نتائج الجهل بتلك الأصول السلفية العظيمة، كيف أوقع بعض هؤلاء الدعاة في التنازع والتباغض، فرمىٰ بعضهم إخوانه ونسبهم إلىٰ البدعة وأهلها!

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٥) رقم (٣٠)، ومسلم في صحيحه (٥/٩٢) رقم (١٦٦١).

(٢) الأجوبة والبحوث والمدارسات، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ، جمع وإعداد عادل بن محمد رفاعي (٢/٣٥٤).

## ۞ الجهل بأصل الولاء والبراء ومقتضياته:

من الأصول المهمة ـ وهي مما يتعلق بمسائل الأسماء والأحكام ـ أن المسلم يجب أن يُحَب ويُوالىٰ بما معه من خير وطاعة وتوحيد وإيمان وسنة، وأن يُبغض ويُعادىٰ بما معه من شر ومعصية وبدعة، فقد يجتمع في حق الشخص الواحد حب وبُغض، وموالاة ومعاداة، بقدر ما فيه من الخير والشر، والسُّنَّة والبدعة. (يبغض المبتدع علىٰ قدر بدعته إنْ كانت غير مكفِّرة، والعاصي علىٰ قدر معصيته، ويحبه في الله علىٰ قدر إسلامه وإيمانه)[1].

قال ابن تيمية ﷺ: (ومن سلك طريق الاعتدال عَظَّمَ مَنْ يَسْتَحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطىٰ الحق حقه، فَيُعَظِّمُ الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات؛ فيُحْمد ويُذَم ويُثاب ويُعاقب ويُحَب من وجه ويَبْغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم)[2].

وهنا أمر مهم لا بد أن يعرفه الدعاة المتنازعون؛ لئلا يقعوا في مخالفة منهج أهل السُّنَّة في الولاء والبراء وهم لا يشعرون، وهو: أنه إذا كان الولاء والبراء مبنيينِ علىٰ قاعدة الحب والبغض، وجب عليهم أنْ يعرفوا ما هي ثمرة الولاء وما مقتضياته؟

إن من أعظم مقتضيات الولاء للمسلمين ـ برهم وفاجرهم ـ النُّصرة والمحبة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهرًا، فأين أولئك

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز (٩/٤٢٣).

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤/٣٢٦).

عن النصرة والإكرام والاحترام لإخوانهم الذين اجتمع فيهم بعض خصال الخير وبعض خصال الشر، ممن اجتمع فيهم طاعة ومعصية وسنة وبدعة؟

فالنصرة والإكرام من مقتضيات الولاء، ومن صورها: الدفاع بالنفس عن كل مسلم، ودفع الظالمين عنه، والوقوف بوجه المعتدين معه، والنفقة بالمال لتقوية جانبه، والذب عن عرضه وسمعته، والدعاء له بظهر الغيب، وإغاثته عند النكبات، ومواساته عند الابتلاءات، فالنصرة واجب إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم، من أي جماعة مسلمة كان، ومن أي بلد أو جنسية كان، ينصره بالمال والنفس، ويذب عن عرضه، ولا يخذله أو يظلمه.

هذا هو حال المسلم الذي سلك سبيل المؤمنين المتبعين لهدي أهل السُّنَّة والجماعة، فإن حبه وبغضه يكون موافقًا للشرع ومخالفًا لهواه، فالميزان الحقيقي عنده الشرع، لكن للأسف بعض هؤلاء المتنازعين من (يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله، وبغض الله ورسوله، وهذا نوع من الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠])[1].

يجب على كل من أراد أن يقتفي منهج السلف أن يحقق ذلك من نفسه، وأن يكون حبه لله وبغضه لله على وفق مراد الله تعالى، وليس على وفق هواه وما تميل إليه نفسه، وأن يكون ممن يُفرِّق بين من له الولاء

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣٢/٢٨).

المطلق أو البراء المطلق، ومن يجتمع في حقه الولاء والبراء، فيحكم بميزان الشرع.

والمقصود أن هناك من يُحَب جملة، وهناك من يُبْغض جملة، وهناك من يُحَب من جهة، ويُبْغض من جهة، فالمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، فإن كان المؤمن مستقيمًا على منهج السُّنَّة والجماعة فله الولاءُ والحبُّ الكامل من المودة والتقدير؛ لكن العاصي من المؤمنين له من الولاء بقدر ما معه من إيمان، وله من البراء بقدر معصيته، وكذا المبتدع الذي بدعته في دائرة المعصية، والتي لا تخرجه من الإسلام، له من البراء بقدر بدعته؛ فيجتمع في هؤلاء العصاة الولاء والبراء، فنواليهم على ما فيهم من خير وإيمان وسنة، ونبغضهم على ما فيهم من معصية وبدعة. وأما الكفار فكلهم أولياء الشيطان، وليس للكافر ولاية مطلقة أبدًا، بل لهم البراء المطلق، فالكافر لا يجتمع في حقه ولاء وبراء.

ومما يؤسف له أن هذا الأصل العظيم قد اختلَّ عند بعض الدعاة اليوم، بل حتى عند من ينتسب للعلم وأهله، ترى منهم العجب في مخالفة هذا الأصل، فيبغضون إخوانهم جملة بسبب أنهم وقعوا في مخالفة واحدة أو عدة مخالفات، بل ويؤثِّمونهم من أجل زلة في مسألة اجتهادية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن عُلِم منه الاجتهاد السائغ، فلا يجوز أن يُذْكر على وجه الذم والتأثيم له؛ فإن الله غفر له خطأه؛ بل يجب لِمَا فيه من الإيمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله

من حقوقه: من ثناء ودعاء وغير ذلك)[1].

فكيف يسوغ لهم أن يبغضوا إخوانهم كما يبغضون أهل البدع الكبرىٰ الخارجين عن السُّنَّة، وإنك لتعجب من كيفية معاملتهم لإخوانهم الدعاة المجتهدين المخطئين كما لو كانوا يعاملون أهل النفاق! فإذا تأملت طريقتهم ثم تساءلت، أين مقتضيات الولاء للمسلم المخطئ العاصي عند أمثال هؤلاء؟

في الحقيقة: لو تدبرت ذلك في سلوكهم، وكيفية معاملتهم لإخوانهم، فإنك لا ترىٰ من آثار الولاء شيئًا في معاملتهم لإخوانهم، كالاحترام والنصرة والدعاء بالصلاح والتسديد؛ بل من المحزن أن ترىٰ الفرح والانشراح عند بعض هؤلاء حينما يُصاب بعض إخوانهم المخالفين لهم بمصيبة، زعمًا أنهم فعلوا ذلك وفرحوا تدينًا كما يظنون!

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/٢٣٤).

## ثانيًا: التعصب بأنواعه، والحزبية المذمومة

من المهم جدًا أن ندرك أن (التعصب مُذْهبٌ للإخلاص، مُزيل لبهجة العلم، مُعم للحقائق، فاتح باب الحقد)[1]. كما أنه فاتح لباب العداوة، وكراهية التعاون والتناصر بين الدعاة.

وليس (أضر على الدعوة بعامَّة والتعاون بين الدعاة بخاصَّة من الحزبية المنغلقة والمذهبية الضيقة، بل لا يُكَّدر صفو الأخوة الإيمانية، ولا يُضعف الرابطة الإسلامية أعظم من التحزب المقيت والتعنصر البغيض.

كيف يرجى التعاون، بل كيف تبنى الروابط، والوجه الطليق والابتسامة الرقيقة، والتحية الحارة حكر على الحزب والجماعة والطائفة؟! أما غيرهم فنصيبه العبوس والوجه الكاشح أو اللقاء البارد والابتسامة الباهتة.

كيف تُمدُّ جسور التعاون وأخطاء الأصحاب يُهوَّن من شأنها، ويُغَض الطرف عنها، وتدخل في دائرة الاجتهاد المأجور؟! وأما غيرهم فيُبْسَط اللسان في التشهير به، ويرفع الصوت في تكبير أخطائه. أخطاء الجماعة وأغلاطها يُسْتجلب لها المسوغات، ويُستغفر لأصحابها، فهي عندهم لا تخدش في أصل المنهج، ولا تعيق المسيرة، أما غيرهم فأخطاؤهم غير

(١) الفتاوى السعدية، للعلَّامة السعدي (ص٦٢٩).

مسوغة ولا مبررة.

بل كيف يُرجىٰ التقارب ـ فضلًا عن التعاون ـ إذا كان المنتمي عندهم محصورًا ومحاصرًا، فلا يقرأ إلا كتب الجماعة، ولا يتتلمذ أو يتلقىٰ إلا عن شيوخ الحزب والمذهب؟!

إذن كيف يُبنىٰ التعاون من هذا التلميذ، ضيق الأفق، مذبذب الشخصية، لا ينظر إلا من زاوية واحدة، ولا يدور إلا في فكر مُنغلق. ما الذي يدفع إلىٰ مثل هذا؟ هل هو حب التعاون، أم حب التجمع واستكثار الأتباع)[1]؟!

إن من الواجب علىٰ الأتباع والمتبوعين الذين وقعوا في ذلك التعصب أن يتخلَّصوا من هذا الداء الذي فرَّق أهلَ السُّنَّة، وجعل بعضهم يُعادي بعضًا بسبب التعصب والتحزب المذموم، وينبغي أن يترك الدعاة التحزب والتعصب وكلَّ ما يترتَّب عليه من بُغْض وهجر وتقاطع، وأن يكونوا إخوةً متآلفين، متعاونين علىٰ البرِّ والتقوىٰ، وأن يتبرَّأ الجميع من هذه الطريقة الحزبية، ويُعلنوا براءتَهم منها ومِنْ عمل مَنْ يقع فيها، وبذلك يسلم الدعاة من شر تلك التحزبات.

إنه من المحزن جدًا أن نرىٰ الشابين قبل استقامتهما وسلوكهما طريق الهداية، بينهما من الاحترام والمودة الشيء الكثير، لكن بمجرد استقامتهما وانتمائهما للجماعات؛ نجدهما قد تباغضا وتهاجرا، ونسيا

(١) التعاون بين الدعاة، للشيخ الدكتور صالح بن حميد حفظه الله في مجلة البحوث الإسلامية العدد (٥١) (ص١٩٥).

العشرة بينهما بسبب تلك الحزبية الضيقة والتعصب المذموم، حتىٰ ازدراهم بعض كبار السِّن من العامة قائلًا: أعوذ بالله، لا مروءة ولا دين!

يا قوم أليس منكم رجل رشيد، فيسأل نفسه: هذا الدِّين العظيم جاء ليجمع بين أتباعه أم يُفرقهم؟!

قال ابن عثيمين رحمه الله: (ولهذا تجد هؤلاء المتفرقين عندهم من كراهة بعضهم لبعض أشد من كرههم للفاسقين الذين يعلنون بفسقهم ـ كما نسمع ـ حتىٰ إن بعضهم يُضلل الآخر ويكفِّره بدون سبب للتكفير. فأنا لا أرىٰ التكتُّل والتحزب الدِّيني، وأرىٰ أنه يجب محو هذه الأحزاب، وأن نكون كما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه؛ أمة واحدة)[1].

فالصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من السلف الصالح قد صلحت أنفسهم فأصلحوا غيرهم، تحزبوا لله ولرسوله وللمؤمنين، يَدْعون الناس لتكون كلمة الله هي العليا، ويحرصون علىٰ هدايتهم ويحبون نصيحتهم، لا يريدون بذلك الاستكثار وزيادة الأتباع والأنصار، هكذا كان السلف الصالح، (ولكن مع الأسف أن الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر كل منها ينظر إلىٰ حظوظ نفسه؛ بقطع النظر عما يكون به نصرة الإسلام أو خذلان الإسلام)[2].

إن مما يُحْزن أن بعض الدعاة في هذا العصر يحرص علىٰ حظوظ نفسه وحزبه وجماعته، بل وتراهم يربون الناشئة ـ في بداية دخولهم طريق

(١) لقاء الباب المفتوح، لابن عثيمين (٤٥/ ١٠٠).
(٢) تفسير جزء عمَّ سورة الضحىٰ، لابن عثيمين (ص٢٣٧).

الهداية وسلوكهم طريق الاستقامة ـ على التعصب لهم ولجماعتهم، وللأسف ما هي إلا أيام أو أشهر منذ ولوجهم نفق هذه الأحزاب، ومرورهم بمصفاة الجماعة، إلا وترى ما يُحزنك في طريقة وكيفية تربيتهم التربية الحزبية المقيتة، وتنشئتهم على البغض لإخوانهم والوقيعة في أعراضهم؛ وتحديد الخطوط العريضة لهم، والتي من شأنها أن تزيد في الفجوة بين ذلك المهتدي وإخوانه في الحزب الآخر، لقد فعلوا ذلك مع الناشئة حتى يُتأكد من صدق انتمائهم لهم، وأيضًا رغبة منهم في التكاثر، وكان الواجب عليهم أن يربوهم على النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال ابن عثيمين رحمه الله: (ونأسف أن بعض الناس يستغل الشباب الصغار ليُحَزِّبَهم، ثم يقول: احذروا من الجماعة الفلانية، احذروا من الشخص الفلاني، احذروا من كذا، سبحان الله!

أنت تريد أن تبني أمة متفرقة متمزقة فيما بعد!!

أنا أحذر جدًا من هذه الجماعات التي يُضلل بعضها بعضًا، وأرى أن الواجب أن نكون أمة واحدة على هدف واحد، وألا تختلف القلوب مهما اختلفت الآراء والأقوال)[1].

(١) لقاء الباب المفتوح، لابن عثيمين (١٩/٨٧).

## ۞ من التعصب امتحان الناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان:

إن من أنواع التعصب المقيت أن ينشغل الدعاة في نصب أشخاص يوالون ويعادون من أجلهم، بل البعض لا يعرف عن المُحذَّر منه أي شيء، سوىٰ أنه سمع جماعته تحذِّر منه، وتذمه وتسطيل في عرضه، والبعض لم يقرأ له أو يتبين له ما الخطأ الذي وقع فيه. (وليس لأحد أن يُنصِّب للأمَّة شخصًا يدعو إلىٰ طريقته، ويُوالي ويُعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا يُنصِّب لهم كلامًا يوالي عليه ويُعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمَّة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين يُنصِّبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرِّقون به بين الأمة، يوالون به علىٰ ذلك الكلام أو تلك النسبة ويُعادون)[1].

ألا يعلم أولئك الدعاة أن هذا التعصب والامتحان يُعد من البدع التي وقع فيها بعض المنتسبين للسُّنَّة، فإن (من البدع المنكرة ما حدث في هذا الزمان من امتحان بعض من أهل السُّنَّة بعضًا بأشخاص، سواء كان الباعث علىٰ الامتحان الجفاء في شخص يُمتحن به، أو كان الباعث عليه الإطراء لشخص آخر، وإذا كانت نتيجة الامتحان الموافقة لِمَا أراده الممتحِن ظفر بالترحيب والمدح والثناء، وإلاَّ كان حظّه التجريح والتبديع والهجر والتحذير)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله؛ مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي أو قرفندي؛ فإن

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٠/١٦٤).

(٢) الحث علىٰ اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها، لعبد المحسن العبَّاد (ص٥٨).

هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة لا شكيلي ولا قرفندي[1]. والواجب على المسلم إذا سُئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرفندي، بل أنا مسلم مُتَّبِع لكتاب الله وسنة رسوله. وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان أنه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: أنت على ملة علي، أو ملة عثمان؟ فقال: لستُ على ملة علي، ولا على ملة عثمان، بل أنا على ملة رسول الله ﷺ، وكذلك كان كل من السلف يقولون: كل هذه الأهواء في النار ويقول أحدهم: ما أبالي أي النعمتين أعظم؟ على أنْ هداني الله للإسلام، أو أنْ جنبني هذه الأهواء، والله تعالى قد سمَّانا في القرآن: المسلمين المؤمنين عباد الله، فلا نَعْدِل عن الأسماء التي سمَّانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم وسمَّوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان. بل الأسماء التي قد يَسُوغُ التسمي بها، مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي، والشافعي، والحنبلي أو إلى شيخ، كالقادري، والعدوي ونحوهم، أو مثل الانتساب إلى القبائل؛ كالقيسي واليماني، وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري، فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان)[2].

وقال رحمه الله أيضًا: (كيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا

(١) مسميات كانت لطوائف من أهل السنة، وهي والله أعلم أشبه بمسميات الجماعات الدعوية في هذا العصر.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/٤١٦).

أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ؟ وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلَّط الأعداء عليها)[1].

ومن التعصب أنك تجد بعض أولئك الدعاة يكره ذلك العالم أو الداعية السُّني من غير سبب شرعي؛ ولكن فقط من أجل أنه قد ردَّ على من يُعظمه وعلى من يُحبه من مشايخه، أو قال كلامًا في مسألة اجتهادية لا يوافق رأي جماعته، وليت الأمر توقف عند هذا الحد؛ بل قد يكره الرجل من أجل أنه سكت ولم يُعرف له موقف من جماعة معينة، أو سكت عن أشخاص قد صاروا تحت التراب، إلى غير ذلك من الفوضى من الوقوع في فتنة التصنيف.

وقد يشتد الغلو والتعصب فيُنسب الداعية وطالب العلم السُني بأنه على غير منهج أهل السُّنَّة، بسبب أن أحد المخالفين قَدِم زائرًا له في بيته أو جالسه، وقد يكون طالب العلم السني ناصحًا للزائر أو أنه استضافه؛ لأجل أن يتألفه بدعوته للسُّنَّة وترغيبه فيها، أو لأجل كفِّ شره، أو لأي مصلحة شرعية أخرى.

وتزداد المصيبة حينما يتولى ذلك بعض من ينتسب لأهل العلم والدعوة، فيكون ديدنه مع طلابه لا تسمعوا لفلان، واهجروا فلان، واحذروا فلان، ولا تحضروا دروسه، مع أن الأتباع لا يعرفون ما السبب في هجرهم له، أو قد لا يدركون حقيقة المخالفة التي أَسقَط بها شيخهم

(١) المرجع نفسه (٣/٤٢١).

ذلك العالم أو الداعية السني المُحذَّر منه!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص؛ أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك: نُظِرَ فيه فإنْ كان قد فعل ذنبًا شرعيًا عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإنْ لم يكن أذنب ذنبًا شرعيًا لم يجز أنْ يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره. وليس للمعلمين أن يحزِّبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢])[(١)].

ومن المصائب التي وقعت بين أهل السُّنَّة وخصوصًا لدى الشباب، أنهم يرمون إخوانهم بألقاب مجملة ومشتبهة، ومحتملة للحق والباطل كلفظ (الحزبية)، فتسمع من البعض وصف إخوانه بالحزبية، وهم واقعون بها من حيث لا يشعرون، بل إن بعضهم جعل كلمة (حزبية) علامة على مفارقة أهل السُّنَّة والجماعة، وهو لا يعرف معناها أو ما تدل عليه، وهل جاءت في الشرع ممدوحة أو مذمومة؟

قال ابن تيمية ﵀: (ولهذا تجد قومًا كثيرين يحبون قومًا ويبغضون قومًا لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أنْ تكون منقولة نقلًا صحيحًا عن النبي ﷺ وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها، وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة، وجَعْلها مذاهب يدعى إليها ويوالي

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/١٥).

ويعادي عليها)[1].

نعم قد يكون التحزب ممدوحًا، إذا كان هذا الاجتماع لنصرة دين الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، أما إذا كان هذا التحزب من أجل إحداث شيء في الدِّين، أو قُصِد منه شق عصا المسلمين؛ أو عقد راية الولاء لمن انضم إليهم والبراء ممن لم يكن معهم ممن ظاهره السلامة، فهذا هو التحزب المذموم الذي ذمته الشريعة.

قال شيخ الإسلام: (وأما «رأس الحزب» فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبًا، فإن كانوا مجتمعين علىٰ ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل: التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان علىٰ الحق والباطل، فهذا من التفرق الذي ذمَّه الله تعالىٰ ورسوله، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ونهيا عن التعاون علىٰ الإثم والعدوان)[2].

فإذا كان الأمر كذلك فليس من الأخلاق الإسلامية، ولا من النصح للإسلام والمسلمين، ولا من طرق ووسائل جمع كلمة المسلمين؛ أن يرمي بعض دعاة المسلمين بعضًا بالحزبية بدون تحرج وتفصيل لِمَا هي هذه الحزبية، فإن هذا يشبه ما يرمي به أهل البدع بعض المتمسكين بالسُّنَّة

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/٢٧٢)

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١١/٩٢).

بأنهم (وهابية) ، فإذا استفصله عن حقيقة هذه (الوهابية) لم يستطع أن يبين له وجه الزلل أو مواضع الخطأ فيها ، ولذلك: فإنك تجد اليوم فلانًا يُصْدِر كلامًا يحذِّر فيها من الحزبية ، ويتبرأ من الحزبية بدون تفصيل ولا بيان ، بل أحيانًا يخلط الحزبية الحقة بالباطلة .

وكم من شاب رمىٰ غيره بهذه الحزبية ، وعندما يُسأل ما معنىٰ الحزبية أو من هو الحزبي؟ يقف متحيرًا ولا يجد جوابًا ؛ لأنه هكذا تلقَّف هذه الكلمة ممن تربىٰ علىٰ يديه .

بل إن بعض الشباب الصغار طار بهذه الكلمة ، وأصبح وأمسىٰ يرددها ويرمي بها من شاء ، وهو لا يدرك حقيقة ما يتفوه به ، فيا أيها الشاب السني ثبتك الله تعالىٰ علىٰ السُّنَّة (إذا قال لك شخص: فلان حزبي احذر منه ، فقل له: هو حزبي حول ماذا؟ فإن قال: حول باطل ، طولب بالدليل علىٰ البطلان ، وإن قال: حول حق ، قيل: فهذا من حزب الله ، فإذا قال: إن فلانًا خرج عن جماعة الشيخ فلان إلىٰ الحزبية ، فقل له: خرج بماذا؟ وإلىٰ ماذا؟ وما الدليل علىٰ لزوم جماعة الشيخ فلان دون جماعة المسلمين عمومًا ، مع إعطاء الأولوية للحق حيث كان ، ويقال: كيف صار فلان ومن معه حزبًا ، وأنت ومن معك لستم حزبًا؟!)[1] .

وهنا أمر مهم يجدر التنبيه إليه ، وهو أن الشرع قد جاء بمدح المسلم والمؤمن والمحسن ، وذمِّ الكافر والمنافق والفاسق ، فمن أراد أنْ يُثني علىٰ أحدٍ فردًا كان أو جماعة ، فعليه أولًا أن ينظر إلىٰ الأسماء الشرعية لا

(١) الحزبية ما لها وما عليها ، للريمي (ص١٣) .

الأسماء الوضعية التي وضعتها الأحزاب أو اتُهمت بها (حركي ـ حزبي ـ تراثي...)، وذلك حتىٰ يكون حكمه بالمدح أو الذمِّ علىٰ الأشخاص أو الجماعات موافقًا للشرع لا للهوىٰ.

وهنا ضابط مهم لمعرفة من هو الممدوح أو المذموم شرعًا من الأفراد أو الجماعات وهو: أنَّ (من أراد أن يمدح أحدًا من الناس شخصًا أو طائفة أو يذم، فعليه أن يبين دخول ما مدحه أو قدح فيه في الاسم الشرعي الذي علق عليه الشارع المدح أو الذم، فإن علَّقه بغير الأسماء الشرعية عُظُمَ غلطه، وانحرف في حكمه)[1].

وهذا الضابط المهم لو أخذ به الدعاة وتعلَّموه وعلَّموه لأتباعهم لَمَا وقعوا في ذم من لا يحبون أو مدح من له يتعصبون، ولسلموا كثيرًا من التطفيف في الحكم علىٰ الأفراد أو الجماعات.

لا بد أن يدركوا أن الصواب أو الخطأ يُعرف من خلال الأدلة الشرعية، وليس عن طريق الأسماء الوضعية، قال ابن تيمية رحمه الله: (والأقوال إذا حُكيت عن قائلها أو نُسبت الطوائف إلىٰ متبوعها فإنما ذاك علىٰ سبيل التعريف والبيان، وأما المدح والذم والموالاة والمعاداة فعلىٰ الأسماء المذكورة في القرآن العزيز كاسم: المسلم والكافر والمؤمن والمنافق والبر والفاجر والصادق والكاذب والمصلح والمفسد وأمثال ذلك، وكون القول صوابًا أو خطأً يُعرف بالأدلة الدالة علىٰ ذلك المعلومة بالعقل والسمع)[2].

(١) مجموع الفوائد، للسعدي (ص١٠٩).
(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٣/٣٤٦).

فاحذر ـ حماك الله تعالىٰ ـ من هذه الطائفية البغيضة، والحزبية المقيتة، واعلم أنه (لا طائفية ولا حزبية يُعْقد الولاء والبراء عليها: أهل الإسلام ليس لهم سمة سوىٰ الإسلام والسلام، فيا طالب العلم ـ بارك الله فيك، وفي علمك ـ اطلب العلم، واطلب العمل، وادعُ إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ طريقة السلف.

ولا تكن خرَّاجًا ولَّاجًا في الجماعات، فتخرج من السعة إلىٰ القوالب الضيقة، فالإسلام كلُّه لك جادة ومنهجًا، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإنَّ يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام. وأعيذك بالله أن تتصدع؛ فتكون نهابًا بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فكن طالب علم علىٰ الجادة؛ تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم)[1].

قال ابن عثيمين رحمه الله: (يجب علىٰ طالب العلم أنْ يتخلىٰ عن الطائفية والحزبية بحيث يعقد الولاء والبراء علىٰ طائفة معينة، أو علىٰ حزب معين، فهذا لا شك خلاف منهج السلف، فالسلف الصالح ليسوا أحزابًا، بل هم حزب واحد، ينضوون تحت قول الله عز وجل: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]. فلا حزبية ولا تعدد ولا موالاة ولا معاداة إلا علىٰ حسب ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فمن الناس مثلًا من يتحزب إلىٰ طائفة معينة، ثم يقرر منهجًا ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلًا عليه،

(١) حلية طالب العلم، للعلَّامة بكر أبو زيد (ص٤٢).

ويحامي دونها، ويضلل من سواه، حتىٰ وإن كانوا أقرب إلىٰ الحق منها، ويأخذ مبدأ: من ليس معي. فهو عليَّ، وهذا مبدأ خبيث؛ لأن هناك وسطًا بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك وهو في الحقيقة معك؛ لأن النبي ﷺ قال: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»[(١)]، ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، وتنوَّعت الطرق، وتفرَّقت الأمة، وصار بعضهم يُضلل بعضًا، ويأكل لحم أخيه ميتًا، لحقهم الفشل كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي مَنْ سواه، ويُضلله ويُبدعه، ويرىٰ أن شيخه هو العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ قول من وافق قوله الكتاب والسُّنَّة، وقول أصحاب رسول الله ﷺ)[(٢)].

فاحذر أيها السلفي المبارك أن تكون (كمن نصب معالمه صادرة عن آراء الرجال، فدعا إليها وعاقب عليها، وعادىٰ من خالفها بالعصبية وحمية الجاهلية، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به)[(٣)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٨/٣) رقم (٢٤٤٣).
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (٢٣٩/٢٦).
(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم (١٦٥/٢).

## ۞ ومن أنواع التعصب: تضييق دائرة السُّنَّة وقصرها على جماعتهم دون غيرها:

إن مفهوم أهل السُّنَّة والجماعة واضح المعالم بيِّن النُصب، فصفات أهل السُّنَّة وسماتهم بيِّنة جليَّة، ذلك أنهم أهل الحق، والحق بفضل الله ظاهر، وأيضًا هم أهل سنة، والسُّنَّة بحمد الله محفوظة، ولأنهم أهل جماعة، والجماعة بإذن الله منصورة.

إن التعصب والهوىٰ للأسف جعل البعض يُوسِّع دائرة السُّنَّة، فأدخل فيها من ليس منها، كما حمل التعصب آخرون بأن ضيَّق دائرة السُّنَّة كتضييق بعض الفرق دائرة الإسلام عليهم، وجعل دخولها مشروطًا بشروط ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، وكل شرط ليس في كتاب الله تعالىٰ ولا في سنة رسوله الله عليه وسلم فهو باطل وإن كان مئة شرط!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من قال بالكتاب والسُّنَّة والإجماع كان من أهل السُّنَّة والجماعة)[1].

فكل من كان علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وعلىٰ ما كان عليه السلف الصالح في القرون المفضلة في الأصول الاعتقادية والعملية في الجملة فهو من الفرقة الناجية، فأهل السُّنَّة عقيدتهم واحدة، وإن اختلف مكانهم وزمانهم؛ لأن مصدرهم واحد ومعينهم واحد، بل إنك (لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلىٰ آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٣/٣٤٦).

من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء ما وإنْ قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟)[1].

إن المرء قد يتساءل مع وجود هذا الاتفاق في أصول السُّنَّة، ما هو المسوِّغ لوجود مثل هذا النزاع والفرقة بين كثير من دُعاتنا اليوم مع أن جميعهم يرفعون شعار السُّنَّة والجماعة؟

إن الحامل على ذلك هو التعصب والتحزب، واعتقاد كل جماعة أنها هي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وحدها.

قيل لأبي بكر بن عياش: (يا أبا بكر مَن السني؟ قال: الذي إذا ذُكِرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها)[2].

وتأمل كيف حمل التعصب للطائفة أنْ جعل البعض حديث النبي ﷺ: «وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً»[3] مقصورًا على طائفتهم، وأنَّ غيرها من الجماعات من

(١) الحجة في بيان المحجة، لقوام السُنَّة الأصبهاني (٢/٢٣٩).

(٢) اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١/١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/١٠٢)، وأبو داود (٢/٥٠٣)، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد»، ولمزيد من البحث

الفرق الهالكة، بل وحصل من بعضهم الجرأة على تعيينها.

لقد اتكأ بعض الجهلة على فهمه الخاطئ لهذا الحديث، بإنزاله على كل مَنْ يخالف حزبه وجماعته، والعجب أنه كلما اختلفت جماعة من أهل السُّنَّة أو طائفة عن أختها، أيَّدت هذا التفرق بهذا الحديث الشريف الذي أسيء فهمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (فكثير من الناس يخبر عن هذه الفِرَق بحكم الظنِّ والهوى؛ فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السُّنَّة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين؛ فإن أهل الحق والسُّنَّة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر)[1].

إن الاستدلال بهذا الحديث الصحيح ـ لتعليل الخلاف في مسائل الاجتهاد ـ بجواز التفرق والتنازع وترك الائتلاف والاجتماع، يُعد من المصائب التي ابتُلي بها أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الزمان، وفرح بها أهل البدع والمنافقون وغيرهم من أعداء الدِّين على ممر الأزمان.

لقد أخطأ البعض في فهم هذا النص، وبنى عليه عدة أمور ليس لها أصل من كتاب أو سنة أو إجماع، (فمن تلك الأخطاء:

---

انظر: السلسلة الصحيحة لشامة الشام المحدث الألباني فقد أزال ـ ﷺ ـ الإشكالات التي أُثيرت حول هذا الحديث (١/٤١٠).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/٣٤٦).

❊ **الخطأ الأول**: إنكار أن يكون في الأمة افتراق، وينبني عليه نزوع بعضهم إلىٰ إنكار حديث الافتراق الذي ورد عن النبي ﷺ، وهذا خطأ فادح، أنْ يميل بعض الناس أو يدعي أنَّه ليس في الأمة افتراق، وهو بذلك يزعم أنه يريد أن يظهر حسن النية في الأمة، وأنْ يعامل الأمة بالظاهر، ومن هنا يتنكر لحديث الافتراق أو يؤوله، أو يصرف الافتراق إلىٰ فِرَقٍ خارجة عن الإسلام قطعًا، أو إلىٰ فِرَقٍ في الأمة هي من غير المسلمين، وهذا خطأ فادح، بل هو معارضة صريحة لأخبار النبي ﷺ، بل الأخبار القاطعة في الكتاب والسُّنَّة تدل علىٰ وقوع الافتراق، فالأمة فعلًا فيها افتراق وهذا حق، والافتراق من الابتلاء، والحق لا يتبين إلا بضده، والله ﷻ كَتَبَ منذ الأزل ألا يبقىٰ علىٰ الحق إلا الأقلون، وعلىٰ هذا فإن القول بوقوع الافتراق لا يُعَدُّ إساءة ظن بالأمة، بل هو أمر واقع لا بد من الاعتراف به، ولا بد من تصديق خبر النبي ﷺ فيه كما أخبر. وكون الافتراق يقع في الأمة لا يعني أن الإنسان يُسَلِّم بالأمر الواقع، أو يزعم أن المفارقة مشروعة، أو يرضىٰ بأنْ يفارق أو لا يتحرىٰ الحق ولا يبحث عنه استسلامًا لقدر المفارقة، بل إن وقوع الافتراق هو دافعٌ لكل مسلم بأن يتحرىٰ الحق ويستمسك به، ويعرف الشر ليحذره ويتجنب مسالكه.

❊ **الخطأ الثاني**: وهو قد يُتَخذُ ذريعة للمفارقة، وهو يقابل الخطأ الأول بالتمام وهو اعتقاد أن المفارقة ما دامت أمرًا واقعًا فهذا يعني أن الأمة تقع فيه برضىٰ وتسليم، وأنه يشرع للدعاة أن يرضوا بواقع الافتراق ويسلِّموا به، وأنْ يقبلوا هذا الضلال دون أن يسعوا لعلاجه، وأنه لا يضر المسلم أنْ يكون مع أي فريق كان؛ لأن المفارقة أمر واقع، فعلىٰ المسلم أن يذهب

مع من يعجبه من أهل الأهواء وأهل الفرق، أو يتعاطف معهم، أو يسعىٰ لجمعهم علىٰ ما هم فيه من افتراق.. وهذه أيضًا دعوىٰ باطلة، بل هي تلبيس علىٰ المسلمين، فلا يجوز أن يكون الخبر عن الاختلاف ذريعة للمفارقة.

❊ **الخطأ الثالث**: خطأ الذين يجعلون من الاختلاف ذريعة للتسرع في وصف المخالفين بالخروج أو المفارقة أو المروق من الدِّين، وما يَسْتَتْبِعُ ذلك من الاستعجال في الحكم علىٰ المخالفين دون رجوع إلىٰ قواعد الشرع وأصول الحكم، ومناهج أئمة الدِّين في ذلك؛ لأن التكفير له ضوابطه وأصوله، حتىٰ مع مرتكبي البدع والأهواء؛ لأن ترتيب الأحكام عليهم بالكفر أو بالبراء والبغض والهجر، والتحذير من المخالف مطلقًا، دون التثبت ودون إقامة الحجة لا يجوز، أعني بذلك أنه لا ينبغي لكل من رأىٰ أي بدعة في شخص أن يصفه بالمفارقة، ولا كل من رأىٰ أمرًا مخالفًا للشرع والدِّين والسُّنَّة أنْ يصفه بالمفارقة؛ لأن من الناس من يجهل الأحكام، والجاهل معذور حتىٰ يُعَلَّم، ومن الناس من يكون مُكْرَهًا في بيئة أو في مكان ما، كما يحدث في بعض البلاد الإسلامية التي يُكْرَه فيها المسلمون ـ مثلًا ـ علىٰ حلق اللحىٰ، أو علىٰ ترك الجماعة، أو علىٰ التلفظ بالكفر، أو علىٰ ممارسة بعض الأعمال التي لا تجوز شرعًا، ويُكْرَهون علىٰ ذلك، ولو لم يفعلوا لَقُتِلوا، أو عُذِّبوا، أو انتهكت أعراضهم، أو نحو ذلك)[1].

(١) الافتراق.. (مفهومه ـ أسبابه ـ سبل الوقاية منه)، للدكتور ناصر العقل حفظه الله (ص٦).

## ثالثًا: عدم التثبت

كم شاهدنا وسمعنا عن وقائع وأحداث نُسبت لأبرياء، وهي في الحقيقة محض كذب وافتراء، وقد شاعت هذه الظاهرة السيئة خصوصًا بعد وجود شبكات التواصل بأنواعها، فأصبحنا وأمسينا نرىٰ الاتهامات تكال علىٰ العلماء والدعاة بكلام قد نُقل عنهم مبتورًا، أو نُقل من غير ذكر المصدر، بل وجُعل علىٰ بعض تلك المقاطع المرئية لبعض الدعاة الثقات عنوانًا يخالف مضمون الكلام من أجل البهتان عليه، وهذا كله يَحْدث من أجل أن يُحكم عليه ويسقط من أعين محبيه، ويُنشر عنه ما لم يكن صحيحًا.

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: (مع الأسف أن بعض الناس إذا سمع خطأً من أحد مجرد سماع دون أن يتثبت طار به في الآفاق، ثم ينسىٰ ما لهذا الرجل من الحسنات الكثيرة التي تطفو بل التي تغمر هذه السيئة أو السيئات)[1].

كم وقع شخص في موقف يدل علىٰ عجلته وعدم تثبته، وجرأته في نقل الشائعات المكذوبة التي تقدح في أخيه الغافل البريء؛ ليتبين له بعد ذلك أنه قد استعجل وظلم أخاه المسلم، وكان الواجب عليه أنْ يتبين، ولكن العجلة وكذا الهوىٰ في الغالب يحمل صاحبه علىٰ نشر الكلام وإذاعته قبل التحقق منه، وقبل أن يتحرىٰ ويستوثق منه.

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (١٥/٩٥).

قال ابن تيمية ﷺ: (فالواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يَتَقَلَّدُ بها، بل يسكت عن ذكرها إلى أنْ يتيقن صحتها وإلا توقف في قبولها، فما أكثر ما يُحْكى عن الأئمة ما لا حقيقة له)[1].

وذكر ﷺ أيضًا أنَّ: (من أراد أنْ ينقل مقالة عن طائفة فليسمِّ القائل والناقل، وإلا فكل أحد يقدر على الكذب)[2].

إن العجلة في نقل الأقوال والأخبار ليس خاصًا ببعض صغار طلبة العلم والدعاة، بل قد يكون هؤلاء المتعجلون من الكبار المنتسبين للعلم وممن يُشار إليه بالبنان، وما أجمل ما كتبه العلامة اللغوي الأديب محمود شاكر بهذا الخصوص حيث قال: (رب رجل واسع العلم بحر لا يُزاحم، وهو على ذلك قصير العقل مضلل الغاية، وإنما يعرض له ذلك من قبل جرأته على ما ليس له فيه خبرة، ثم تهوره من غير رَوِيَّة ولا تدبر، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل، وإنَّ أحدنا ليقدم على ما يحسن وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء كان العقل يوجب عليه فيها أن يتثبت)[3].

وقد بيَّن شيخ الإسلام بوضوح كعادته، المنهج الوسط لأهل السُّنَّة والجماعة، في هذا الأمر فذكر: (أنَّ الرجل العظيم في العلم والدِّين من

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/٩٥).
(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٢/٤١٣).
(٣) مجلة الرسالة العدد (٥٦٢)، جمهرة مقالات محمود شاكر، للدكتور/ عادل سليمان جمال (١/٢٥٨).

الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلىٰ يوم القيامة أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونًا بالظن ونوع من الهوىٰ الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإنْ كان من أولياء الله المتقين، ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين، طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحًا في ولايته وتقواه، بل في بِرِّه وكونه من أهل الجنة، بل في إيمانه حتىٰ تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد)[1].

ومن قرأ في التاريخ ونظر في سير العلماء السابقين، تبيَّن له صدق كلام شيخ الإسلام ﵀، فقد ذكر الخطيب البغدادي ﵀ في تاريخه عن الإمام عبد الله بن المبارك ﵀ أنه كان يقول: (قدمت الشام علىٰ الأوزاعي فرأيته ببيروت، فقال لي: يا خُراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يُكنىٰ أبا حنيفة، فرجعت إلىٰ بيتي فأقبلت علىٰ كتب أبي حنيفة، فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئت اليوم الثالث وهو ـ أي الأوزاعي ـ مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي، فقال: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها قاله النعمان، فما زال قائمًا بعد ما أذن حتىٰ قرأ صدرًا من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كمِّه، ثم أقام وصلىٰ، ثم أخرج الكتاب حتىٰ أتىٰ عليها، فقال لي: يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق، فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه، قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه)[2].

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤/٥٤٣).
(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٣/٣٣٨).

ثم لما اجتمع الأوزاعي بأبي حنيفة بمكة جاراه في تلك المسائل؛ فكشفها له بأكثر مما كتبها ابن المبارك عنه، فلما افترقا قال الأوزاعي لابن المبارك: (غَبَطتُ الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، وأستغفر الله تعالىٰ، لقد كنت في غلط ظاهر، الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه)[1].

فتأمل في هذا الموقف يارعاك الله؛ لتعلم أن بعض أهل العلم قد يجانبه الصواب في موافقة الحق، أو يميل في الحكم علىٰ أناس، أو قد يتكلم فيهم غَيْرة للسُّنَّة في أمور قد تبلغه عنهم؛ ولم يتحقق منها لأسباب قد تحول بينه وبين التثبت؛ فيصدق الكلام في المنقول عنه لصعوبة التثبت والتحري عنه، بسبب ثقته بالناقل وإحسان الظن به، فحينئذ تكون فتنة للأتباع!

لا تعجلنَّ لأمر أنت طالبه ... فقلما يدرك المطلوب ذو عجل
فذو التأني مصيبٌ في مقاصده ... وذو التعجل لا يخلو من الزلل

وقد يكون الحامل علىٰ عدم التثبت عند بعض الدعاة الهوىٰ الخفي، فإن صاحب الهوىٰ قد يعميه الهوىٰ ويصمه، فلا يتثبت ويكون مع ذلك معه شبهة دين بأن الذي يرضىٰ له ويغضب له أنه للسُّنَّة ومن أجل السُّنَّة.

إِنارةُ العَقْلِ مَكْسُوفٌ بَطَوْعِ هَوَىٰ ... وَعَقْلُ عَاصِي الْهَوَىٰ يَزْدَادُ تَنْوِيرا

سئل الشيخ ابن عثيمين ﷺ عن (بعض الدعاة يتهم داعية آخر، فإذا قيل له في ذلك قال: حدثني رجل معروف بعلمه وعدله، فإذا قلت: تثبت،

(١) الإعلام بحُرمة أهل العلم والإسلام، لمحمد المقدم (ص٣٥٣).

قال: التثبت فيما إذا كان الناقل فاسقًا، فما رأيكم في هذا؟

الجواب: هذا صحيح، كلامه صحيح من حيث الظاهر؛ أنه إذا أخبرك رجل ثقة فلا حاجة للتثبت؛ لأن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] لكن قد يكون الإنسان ثقة ولكن له هوىٰ، فتضعف الثقة من هذه الناحية)[(١)].

وأوضح ﷺ أيضًا أنَّ: (من أهم الآداب التي يجب أن يتحلىٰ بها طالب العلم: التثبت فيما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر من أحكام، فالأخبار إذا نُقلت فلا بد أن تثبت أولًا، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا؟

ثم إذا صحت فتثبت في الحكم ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنيًا علىٰ أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ!

ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟ العلاج أن تتصل بمن نُسب إليه الخبر، وتقول: نُقل عنك كذا وكذا وكذا فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته؛ لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال إذا عُلِم السبب بَطَلَ العجب)[(٢)].

وإليك هذه الواقعة الغريبة أيضًا؛ لتعلم أيها السني أنه في كل عصر ومصر تحدث تلك الوقائع الدالة علىٰ التعصب المذموم وعدم التثبت، وتأمل كيف هي طريقة العلماء الراسخين في التثبت، وهذا والله من بركة العلماء.

(١) لقاء الباب المفتوح، لابن عثيمين (٢٨/١٢٨).
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (٢٦/٩٢).

فمن عجيب أمر هذه الواقعة مشابهتها لكثير مما يحدث في زمننا هذا، ولكننا بحاجة إلىٰ حكمة العلماء المنصفين كالعلامة السعدي وأمثاله. وتمام الواقعة هي أن الشيخ محمد الدناصوري، وهو شيخ مصري ممن استقدمهم الشيخ محمد بن مانع ﷺ الذي كان مسؤولًا عن نظارة المعارف في المملكة آنذاك للتدريس في المعاهد التي أنشأها تلك الأيام، وتعيَّن الدناصوري مدرسًا في عنيزة لتدريس العلوم الشرعية والعربية.

يقول الشيخ ابن سعدي في رسالته لتلميذه الوفي والعلَّامة الذكي عبد الله بن عقيل ﷺ: (تستفهم عمَّا حصل من الكلام علىٰ الشيخ الدناصوري، الحقيقة أن المعهد بطرفنا صار سببًا لضرر وفتنة وانقسام كثير من الناس إلىٰ حزبين متطرفين منهما نشأت الفتنة، حزب كان يسيطر عليه الشيخ ابن مانع ويرِد ويصدر عن رأيهم، وهم ناس ليسوا من أهل الدِّين ولا من الذين يرغبون المصالح العامة النافعة للبلد، وإنما لما رأوا ابن مانع لكثرة مكاتباتهم له كثرة وكثرة[1] التفت لهم، وصلت بهم الحال إلىٰ أنهم يسعون في إبعاد من لا يرتضون من المعلمين، والإيعاز للتلاميذ بمقاطعتهم، وربما بالتهكم بهم.

وهؤلاء قد حذَّرنا ابن مانع منهم مرارًا، ووقع كما حذرنا، فإنه نشأ حزب آخر في مقابلة هؤلاء، منهم أناس لهم هدىٰ مشوب باسم الدِّين، وأناس أجاويد، ركضوا معهم فقابلوا الفاسد بالفاسد، وأشاعوا عن المعهد الإشاعات الباطلة، ومن هواهم واغترار بعضهم صاروا لا يتثبتون،

(١) كذا في الأصل.

ويجعلون الحبة قبة، ويبنون على أوهام وظنون، نشأ من هذا الحزب ما قيل عن الدناصوري وإبراق المعارف له بالتوجه حالًا، فازداد شر هؤلاء لما رأوا سعايتهم نجحت بما يريدون من إبعاده، والآن رجع ابن مانع عن ذلك؛ فأمره أن يبقى على تدريسه حتى يأتي بدله.

صورة الواقعة التي قدمت لها هذه المقدمة التي تعينك على فهمها، أن الدناصوري كان على عادته في مسجد الصويطي يلقي تفسير القرآن ويقرأ بابن كثير، وكان يوم ألحُّوا عليه أهل الحارة شاورني وشاور الشيخ ـ يقصد قاضي عنيزة آنذاك الشيخ عبد الرحمن بن عودان ـ وحَسَّنا له ذلك، فتكلم على قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وحضر درسه بعض الناس، فنقل عنه أنه يقول إن الأحاديث آحاد لا تفيد اليقين، وأن القرآن ألفاظه قطعية ومعانيه ظنية. ولما قيل لي ذلك عرفت أن النقل محرف، وأنه حصل سوء فهم من السامع، لِمَا أعرفه من الرجل من الحزم والاحتراز عن كل ما يُنتقد، فقلت للناقل: لا بد أن تكون على غير هذا الوضع، وعرفت أن سيُشاع ذلك من غير تثبت، فبادرت وذهبت بنفسي إلى الدناصوري مستفهمًا له عما وقع، فأخبرني أنه قال في تفسير الآية: اختلف العلماء هل الأمر بالوصية للوجوب أو للاستحباب؟ وعلى القولين فإن الآية الكريمة منسوخة بحديث: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[1] والحديث هذا من الآحاد، والآحاد لا تفيد اليقين، وقلت ما قاله غيري، فإن الحديث المذكور ليس في الصحيح، وإنما هو في السنن ولا ريب أنه من الأحاديث الآحاد، لأن العلماء قسموا

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣/١٩٦) رقم (٢٨٧٠).

الأحاديث إلىٰ متواتر يفيد اليقين ، وإلىٰ آحاد صحيح تلقته الأمة بالقبول ، واتفقوا علىٰ صحته ، فهذا الخلاف في كونه يفيد اليقين معروف ، والصواب الذي عليه المحققون أن هذا القسم يفيد اليقين ، وكثير من العلماء يقول إنه يفيد العمل دون القطع واليقين ، ولكنه ضعيف . المقصود أن الذي يقول عني أني أقول أن الأحاديث كلها آحاد تفيد غلبة الظن فهو كاذب عليَّ ، وأكذب منه من يقول عني أني أقول أن معاني القرآن لا تفيد اليقين ، فأي مسلم يقول ذلك ؟! وأنا مستعد لمقابلة كل من يقول عني ذلك .

ـ ثم يواصل الشيخ عبد الرحمن السعدي حديثه لتلك الواقعة ـ: هذا حاصل ما جرىٰ . أما الذين غيري فإنهم حين سمعوا من قال عنه القول الذي أشيع عنه ، وهو باطل ، كما يقول وكما ظننا ، فإنهم رفعوا الأمر إلىٰ مَن لهم الأمر من غير تثبت ولا تبصر ولا مفاهمة ، فصار من ذلك أن مَنْ لهم الأمر حتَّموا علىٰ ابن مانع في إزالته ، فحصل منه الإبراق المذكور . أما أنا فقد بيَّنت لكل من سألني عن القضية صورة الواقع ، وأنه لا يحل الدخول في هذه الأحزاب الضارة ، وبيَّنت أنَّ الواجب علىٰ الناس احترام أمثال هؤلاء الذين لم نعثر منهم علىٰ ما يُنتقد ، وأنه لو فُرض ذلك لوجب نصيحتهم سرًا ، ولم يَحْل السعي في السعايات الضارة التي تبرهن عن مقصود صاحبها ، وتبرهن علىٰ أن الذي همه السعايات بمثل هذه الأمور ؛ أنه أجبن الناس عن النصيحة والمشافهات ، وأشجعهم في القول بما لا يعلم والسعايات . ولكن كثيرًا ممن دخلوا في هذا الحزب وهم من أصحابنا الذين نعترف بفضلهم إذا نصحناهم تبعوا هواهم ، ولم يقبلوا النصيحة ، وبرروا موقفهم من حالة الحزب الأول ، فنقول لهم: لا تقابلوا الفاسد بالفاسد ، فيزداد الأمر شرًا كما وقع ، فنرجو الله تعالىٰ لنا ولهم ولجميع

المسلمين الهداية والاستقامة، وأن يحفظنا وإياكم من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، إنه جواد كريم)[1].

قال شيخنا ابن باز ﷺ: (أنصح إخواني جميعًا بالتثبت فيما يشيعه الناس عن العلماء أو غيرهم؛ لأن كثيرًا من الناس يشيعون عن العلماء وطلبة العلم أشياء كثيرة لا أصل لها، فإذا لم يتثبت المؤمن في الأمور التي يُتَحدث فيها أوقع الناس في الغلط، وهذا ليس من النصح في الدِّين، وقد أنكر الله سبحانه على من لم يتثبت في الأخبار ولم يردها إلى أهلها بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه، وقال ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

والإنسان مسؤول عن كل قول وعمل كما قال ﷻ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، فاحذر أيها المؤمن أنْ يستزلك الشيطان ويغريك بعدم التثبت في الأمور والأخبار، فتقع فيما لا تحمد عقباه، وتندم حين لا ينفع الندم)[2].

(١) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة، للسعدي (ص٢٥٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢٤٧/٧).

## رابعًا: الحسد

الحسد هو داء الأمم قبلنا، وهو أحد أسباب نشر البغضاء بين دعاتنا، فلم يسلم منه إلا مَن سلَّم الله ربنا، فمن سلِم منه فهو بخير وعلىٰ خير وإلىٰ خير، نسأل الله الكريم من فضله.

فعن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا»(١).

(إن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد لكنَّ اللئيم يبديه والكريم يخفيه. وقد قيل للحسن البصري: أَيَحْسُدُ المؤمنُ؟ فقال: ما أَنْسَاك أخوةَ يوسف لا أَبَا لك، ولكن عَمَهٌ في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تَعْدُ به يدًا ولسانًا، فمن وجد في نفسه حسدًا لغيره فعليه أنْ يستعمل معه التقوىٰ والصبر. فيكره ذلك من نفسه، وكثير من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون علىٰ المحسود، فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضًا لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمَّه أحد لم يوافقوه علىٰ ذمِّه ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مَدِينُونَ في ترك المأمور في حقه مفرطون في ذلك، لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يَبْخسون حقوقهم فلا يُنْصَفُونَ أيضًا في مواضع ولا يُنْصَرُونَ علىٰ من ظلمهم كما لم

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/٣٦٠)، وحسن إسناده الألباني في صحيح الترغيب.

يَنْصُرُوا هذا المحسود)[1].

إن هذا المرض الخطير قد يتسلل لِواذًا تحت جناح الغفلة إلىٰ خيار هذه الأمة؛ فيصيب العلماء وطلبة العلم والدعاة، فضلًا عن غيرهم، فكم شاهدنا وكم قرأنا في تراجم من مضىٰ من أهل العلم ممن حمله الحسد علىٰ اتهام مَنْ يحسدونه.

ومما حُفظ لنا في التراجم أن بعض أهل العلم نَسب للإمام الشافعي ﵀ التشيع حسدًا له!! ولمَّا قيل للإمام أحمد بن حنبل ﵀ ذلك أنكره وقال: (والله ما رأينا منه إلا خيرًا، ولا سمعنا منه إلا خيرًا؛ ثم قال الإمام أحمد لمَنْ حوله: اعلموا رحمكم الله تعالىٰ أن الرجل من أهل العلم، إذا منحه الله شيئًا من العلم، وحُرِمَه قرناؤه وأشكاله، حسدوه، فَرَمَوْهُ بما ليس فيه وبئست الخصلة في أهل العلم)[2].

حسدوا الفتىٰ إذْ لم ينالوا سَعْيَهُ ... فالكلُ أعداءٌ لهُ وخصومُ

كم حمل الحسد أُناسًا من أهل العلم علىٰ ذمِّ من لا يحبون، والوقيعة فيمن يكرهون، والاستطالة في أعراض مَنْ يحسدون، والتحذير ممن أنعم الله عليهم بمزيد فضله ومنِّه سبحانه، فلم يكن له طاقة ليردوا فضله علىٰ عباده، ولم يستطيعوا أنْ ينافسوهم بالفضائل أو يسبقوهم، فحملهم الشيطان علىٰ الكيد للمُنعَم عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (قد يُبتلىٰ بعض المنتسبين إلىٰ

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/١٢٤).
(٢) مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي (٢/٢٥٩).

العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقًا، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم)[1].

لقد صدق ﷺ، فإنَّ من تأمل ما يحدث في الساحة الدعوية بين بعض طلبة العلم، وخصوصًا ما يحصل بين بعض أصحاب الشهادات العليا في الجامعات وفي الكليات الشرعية من حسد وبغي، واتهامات وطعن في النيات، ليُدرك حقيقة أن الحسد يكثر بين المنتسبين للعلم!! ويظهر ذلك جليًا فيمَن لهم تلاميذ وأتباع، وممن يحرص علىٰ أنْ يكون ذا أمر مطاع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد ما لا يوجد فيمن ليس كذلك)[2].

ومن العجب أن بعض هؤلاء المتنازعين يُقرُّ بأن فلانًا قد حصل منه نفع ونشاط في الدعوة، وفي نشر العلم والعقيدة الصحيحة، إلا أنه لا يُحب أن يُثني عليه لأنه ليس من طائفته، والبعض للأسف يحرص علىٰ إظهاره بأنه مخطئ ولو كذبًا حسدًا له، هذا إنْ لم يُنفِّر ويحذر الناس منه، قال ذهبي عصره العلامة المعلمي ﷺ: (وإنك لتجد من المنتسبين إلىٰ العلم من يحرص علىٰ تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل، حسدًا منه لهم، ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس)[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (١/١٧٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/١١٥).

(٣) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، للمعلمي (٣/٢٢٩).

كل العداواتِ قد تُرجى إزالتُها إلا عداوة مَنْ عادك مِنْ حَسَدِ

ومن آثار الحسد السيئة أنه يحمل على الظلم وبخس الحقوق، بل (ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة، فيجمع بين أمرين قبيحَيْنِ: الغيبة والحسد. وإذا أثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح أو في قالب حسد وفجور وقدح؛ لِيُسْقِطَ ذلك عنه)[1].

وغالبًا ما يكثر الحسد بين الأقران، والمتقاربين والمتجاورين؛ ولذلك كان بعض العلماء يقول بأن كلام الأقران غالبًا يطوى ولا يروى.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعْبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سَلِم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[2].

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/٢٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١/١١١).

## خامسًا: سوء الظن

الأصل هو وجوب إحسان الظن بالمسلمين حتىٰ يتبيَّن خلافه بدليل قاطع لا شك فيه، فهذا هو الواجب والخُلُقُ الذي ينبغي أنْ يتخلق به المؤمن، فإن من أجَلِّ صفات المؤمنين اجتناب إساءة الظن بالمسلمين، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا..»[(١)].

إن من يتأمل في أسباب الفُرْقة والنزاع يجد أن من أعظم أسباب الخلاف بين الدعاة هو سوء الظن كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: (إن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن وما تهوىٰ الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ)[(٢)].

إن إساءة الظن بالدعاة والعلماء فيه مفاسد كثيرة، ليس علىٰ الدعاة والعلماء فحسب؛ بل علىٰ جميع من تأثَّر بهم وأحبهم، ومن تعلَّق بسماع دروسهم وقراءة كتبهم وأخذ بتوجيههم وإرشادهم، فكم سمعنا وقرأنا من إساءة الظن بأهل العلم وحمل كلامهم علىٰ أسوأ المحامل، والدخول في نياتهم، ويزداد الأمر سوءًا حينما تُنْشَرُ تلك الظنون الكاذبة، عبر الآفاق

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٧) رقم (٥١٤٣).
(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٣٧/١٢).

في وسائل الإعلام: المسموعة، والمقروءة، والمرئية. وهذا مما يوجب على المسلم أن يحذر أكثر، وأن يترك إساءة الظن بأخيه المسلم، وأن يحمل قوله وفعله على الحسن مهما أمكن، وإن من أحق مَنْ يجب ترك إساءة الظن بهم، العلماء الصادقين والولاة العادلين والدعاة الناصحين.

إنَّ عواقب سوء الظن بالمسلم واتهامه بالباطل وخيمة، وأوزارها عند الله تعالى عظيمة، فقد يجد مسيء الظن عاقبة تلك المعصية في الدنيا قبل الآخرة، كما أخرج ابن أبي الدنيا بسنده عن مكحول قال ﷺ: (رأيت رجلًا يبكي في صلاته، فاتهمته بالرياء، فحُرِمْتُ البكاء سنة)[1].

أَلَا يتقي الله أولئك الذين يسيؤون الظن بإخوانهم، ويتهمون بعض أهل العلم والفضل ممن ظهر صلاحه وحسُن سمته بسوء القصد، وأنهم فعلوا ذلك لأجل مصالح دنيوية أو مآرب شخصية.

وتأمل معي ما سطره العلَّامة الرباني السعدي ﷺ عمَّا وقع لبعض أهل العلم في التحذير من إساءة الظن بالمسلم واتهامه بالقصد السيئ من غير بيِّنة واضحة، قال ﷺ: (يعجبني ما وقع لبعض أهل العلم، وهو أنه كتب له آخر من أهل العلم والدِّين ينتقده انتقادًا شديدًا في بعض المسائل، ويذكر أنّه قد أخطأ فيها، بل إنه قدح في قصده ونيته، وادَّعى أنّه يدين الله ببغضه بناءً على ما توهم من خطئه!!

فأجاب المكتوب له[2]: يا أخي إنّك إذْ تركت ما يجب عليك من

(١) العقوبات، لابن أبي الدنيا (ص٦٣).

(٢) في ظني أن الشيخ ﷺ يتحدث عن نفسه؛ فلم يصرح باسمه من أجل أن يكون له خبيئة=

المودة الدينية، وسلكت ما يحرم عليك من اتهام أخيك بالقصد السيئ ـ على فرض أنه أخطأ ـ وتجنبت الدعوة إلى الله بالحكمة في مثل هذه الأمور، فإني أخبرك ـ قبل الشروع في جوابي لك، عما انتقدتني عليه ـ بأنّي لا أترك ما يجب عليَّ من الإقامة على مودتك، والاستمرار على محبتك المبنية على ما أعرفه من دينك، انتصارًا لنفسي، بل أزيد على ذلك إقامة العذر لك في قدحك في أخيك، بأن الدافع لك على ذلك قصدٌ حسن، لكن لم يصحبه علم يصححه، ولا معرفة تبيِّن مرتبته، ولا ورع صحيح يوقف العبد عند حدِّه الذي أوجبه الشارع عليه. فلحسن قصدك عفوت لك عما كان منك لي من الاتهام بالقصد السيئ، فهب أن الصواب معك يقينًا، فهل خطأ الإنسان عنوان على سوء قصده؟! لو كان الأمر كذلك للزم رمي جميع علماء الأمة بالقصود السيئة؛ لأنه لا يسلم من الخطأ أحد، إلا من رحم الله. وهل هذا الذي تجرأت عليه إلا مخالف لِمَا أجمع عليه المسلمون من أنه لا يحل رمي المسلم بالقصد السيئ إذا أخطأ، والله تعالى قد عفا عن خطأ المؤمنين في الأقوال والأفعال وجميع الأحوال. ثم أقول: هب أنه جاز للإنسان القدح في إرادة من دَلَّتِ القرائن والعلامات على قصده السيئ، أفيحل ـ فيمن عندك من الأدلة الكثيرة على حسن قصده وبُعْده عن إرادة السوء ـ أن تتوهم فيه شيئًا مما رميته به؟! والله تعالى قد أمر المؤمنين أن يظنوا بإخوانهم خيرًا إذا قيل فيهم خلاف ما يقتضيه الإيمان، فقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ..﴾ [النور: ١٢].

= عمل صالح، وطلبًا للإخلاص، وهذه طريقة العلماء المخلصين، يفعل الواحد منهم ذلك؛ لكي يُبعد عن نفسه كل ما يجلب لها المدح أو الثناء من الناس ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

واعلم أنّ هذه المقدمة ليس الغرض منها مقابلتك بما قلت ، فإني كما أشرت لك قد عفوت عن حقي ـ إن كان لي حق ـ ولكن الغرض النصيحة ، وبيان موقع هذا الاتهام من العقل والدِّين والمروءة الإنسانية . . .)[١] .

واعلم يا رعاك الله أن سوء الظن يدعو إلىٰ التجسس المنهي عنه ، وأن ستر العيوب والتغافل عنها سمة أهل الدِّين ، وإن من آثار سوء الظن التجسس ، فإن من أساء الظن غالبًا لا يقنع بالظن ؛ بل يطلب ما يؤكد صدق ظنه ؛ فيشتغل وينشغل بالتجسس ، والبحث عن العورات ، وتتبع السقطات والزلَّات ، وهذا مما نهىٰ الشارع عنه ؛ لأنه يوصل إلىٰ هتك ستر المسلمين والمسلمات .

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان رحمه الله : (التجسس من شُعب النفاق ، كما أن حسن الظن من شُعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر في جناياته وأشجانه)[٢] .

مسكين ذلك العبد ، حينما لا يشعر بنقل حسناته إلىٰ من لا يحب ، بالتجسس تارة وبتتبع عيوبه تارة أخرىٰ ، وهذا من العجب في أمر هؤلاء ، وإنك لتعجب ممن (كان شغلهم البحث عن عيوب مَنْ لا يحبونه ، والاعتراض المتنوع علىٰ من يبغضونه ، كيف غطَّىٰ السُّكْر علىٰ عقولهم ولم يعلموا أن ذلك عين نقصهم والتعبير عن عدم فضلهم ، والسعي في نقل

(١) مجموع الفوائد ، للسعدي (ص٤٢) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لابن حبان (ص٤٣)

حسناتهم إلىٰ مَنْ يبغضونه بحسب بغضهم لهم)[١].

للأسف لقد وصل الحد ببعضهم أن سَخَّر وقته لحفظ سقطات غيره، وبل حفظ حواشي كتب من يبغضه! ولو شغلها بحفظ كتاب ربه وسنة نبيه، واشتغل بعيبه واستغفر من ذنبه لكان خيرًا له وأقوم، ولكن الغالب أن الباعث علىٰ تتبع العورة هو العُجْب وتزكية النفس وسوء الظن، فلو أنه شُغل بعيوب نفسه واجتهد في إصلاحها وصحح مساره، لم تشغله عثرات وعورات إخوانه حتىٰ سَخَّر وقته فأشغل قلبه بسوء الظن، وفرح بسقطاتهم، وإلا فمتىٰ (صار من دين الله: فرح المسلم بمقارفة أخيه المسلم للآثام؟! أَلَا إنَّ هذا التصيد، داء خبيث متىٰ ما تمكَّن من نفس أطفأ ما فيها من نور الإيمان، وصيَّر القلب خرابًا يبابًا، يستقبل الأهواء والشهوات، ويفرزها. نعوذ بالله من الخذلان)[٢].

قال بكر المزني ﷺ: (إذا رأيتم الرجل موكلًا بعيوب الناس ناسيًا لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به)[٣].

فيا من يريد النجاة لنفسه، تأمل في كلام مَنْ سبقوك، فإنهم والله إلىٰ ما فيه خير قد أرشدوك، فاحذر أن تشتغل بعيب غيرك وأنت في غفلة عن عيبك؛ فإن كنت كذلك فاعلم أنه قد فَتح لك الشيطان باب شر، وأُغلق عنك باب خير، فاطلب نجاة نفسك بملاحظة ذنبك، وبالتوبة إلىٰ ربك،

(١) مجموع الفوائد، للسعدي (ص١٦).
(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين، للعلَّامة بكر أبو زيد (ص١٦).
(٣) صفة الصفوة، لأبي الفرج الجوزي (٢/٢٤٩).

قال عون بن عبد الله رحمه الله: (ما أحسب أحدًا تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه)[1].

قال العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله: (وبعض الناس ـ والعياذ بالله ـ يحمل الفعل أو القول على الشر ثم يؤزه الشيطان إلى أنْ يتجسس على أخيه، ويتابع أخاه، وينظر ماذا فعل؟ وماذا قال؟ فتجده دائمًا يحلل أقواله وأفعاله، وليته يحمله على الأحسن، أو على الحسن، ولكن على السيئ والأسوأ، وذلك بإيحاء الشيطان ـ والعياذ بالله ـ والذي يجب على المؤمن إذا رأى من أخيه ما يحتمل الخير أو الشر أن يحمله على الخير ما لم توجد قرائن قوية تمنع حمله على الخير، فهذا شيء آخر، فلو صدر مثل هذا من رجل معروف بالسوء ومعروف بالفساد، فلا بأس أن تحمله على ما يحتمله كلامه، أما رجل مستور ولم يُعلم عنه الشر، فإذا وجد في كلامه أو في فعاله ما يحتمل الخير والشر، فاحمله على الخير حتى تستريح)[2].

إن المؤمن التقي لا يفرح بزلة أخيه المسلم، ولا يتتبع سقطاته، إنما هو ذلك المؤمن النقي الزكي الذي (يتوجع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر، حتى كأنه هو الذي عثر بها، ولا يشمت به فهو دليل على رقة قلبه وإنابته)[3].

فالمؤمن يعلم أن من ستر مسلمًا ستره الله، ويوقن أن إساءة الظن بأخيه المسلم من المهلكات، فتجده يسعى في الدعاء له، ويُحسن الظن

(١) حلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني (٤/٢٤٩).
(٢) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/٢٧٠).
(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (١/٤٣٦).

بما ظهر له من زلات إخوانه؛ فيحملها على المحمل الحسن (هذا هو اللائق بالمسلم، أما من فُتِن ـ والعياذ بالله ـ وصار يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها، وإذا رأى شيئًا يحتمل الشر ولو من وجه بعيد؛ طار به فرحًا ونشره، فليبشر بأنْ مَنْ تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته)[1].

فمن كان هذا دأبه، وتلك هي طريقته، سلَّط الله تعالى عليه من يُسقطه، ومن يُظهر معايبه كما جاء في الحديث عن أبي بَرْزَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ»[2].

فليحذر من يريد نجاة نفسه من الوقيعة في إخوانه المسلمين، وبالأخص العلماء الصادقين والدعاة المخلصين، لِيَسْلم من التبعات في دنياه وأخراه، فإنه والله على خطر عظيم، وذنب جسيم،

قال ابن عثيمين ﷺ: (ربما يُصاب هذا الرجل الذي يتَّبع عورات الناس وأخطاءهم القولية والفعلية بأن يسلِّط الله عليه مَن يتابعه هو بنفسه، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته)[3].

فكم شاهد المرء في عواقب تتبع العورات من عِبر يُريها الله سبحانه

(١) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/٣٨١).
(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٢٠)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وأبو يعلى (١٣/٤١٩).
(٣) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/٢٧٠).

لمن أراد أن يعتبر!

وكم في تاريخ من غَبر مِن عظات وعِبر، يقشعر منها جلد كل من اتعظ وادَّكر! فكن منها أيها السني المبارك على وجل وحذر.

ذكر العلامة القاضي عياض المالكي في ترتيب المدارك، في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري والمعروف بالذكي أنه (لمَّا صعد إلى المشرق ودخل بغداد، وجد مذهب مالك بها قد دَرَسَ وقلَّ طالبه، فلم يحصل له بالفقه رئاسة هناك. ولتقدم أهل المشرق في صنعة النظر، وحذق الجدل الذي بذلك تقدَّم أئمتهم، فرأس في النحو وعلم لسان العرب، واستصحبه القيِّم بالخلافة بها إذ ذاك الملك العادل أبو الفتح. واستصحبه إلى أصبهان لتدريس بقية الأدب، فذهب علمه بالسُّنَّة هناك ضياعًا، ولم يبلغني أن أحدًا أخذ عنه هناك، ويقال إن سبب هذا دعاء الشيخ أبي القاسم السيوري[1] عليه! فإنه يحكى أنه كان كثيرًا ما يسيء الأدب معه، ويتتبع سقطاته، حتى جمع من فتاويه نحو ثلاثين مسألة ادَّعى عليه الخطأ فيها، فأنكرها الشيخ، وكتب إلى أصحابه لا تسمعوا منه فإنه كذاب، فأسقط بهذا)[2].

وذكر الحافظ ابن حجر أيضًا في ترجمة: محمد بن موسى بن محمد المعروف بابن سند بأنه (كان ذكيًا، وأَذِن له في الإفتاء ابن كثير وتاج الدِّين والعلائي..، وفي أواخر عمره تغيَّر ذهنه ونسي غالب محفوظاته حتى

(١) أبو القاسم السيوري عدَّه ابن القيم في إعلام الموقعين من محققي الأشياخ في المذهب المالكي (٤/٩٢).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (٢/٣٤١).

القرآن، ويقال إن ذلك كان عقوبة له لكثرة وقيعته في الناس، عفا الله تعالىٰ عنه بمنه وكرمه)[١].

وذكر ابن حجر أيضًا في ترجمة أحدهم فقال: (قرأت بخط البرهان المُحَدِّث أنه اختلط قبل موته بسنة بسبب مرض طال به اختلاطًا فاحشًا، قال: وكان عالمًا، له يد في النحو والحديث، حسن الشكل، كيِّسًا، متواضعًا، ليِّن الجانب، وكان يعمل الميعاد فيسرده من غير تلعثم، ويعمل أشياء حسنة. وقرأت بخط ابن حجي أنه تغيَّر في آخر عمره تغيرًا شديدًا، ونسي بعض القرآن، **فكان يقال إن ذلك لكثرة وقيعته في الناس**)[٢].

قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: (المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلَّات)[٣].

وقال إبراهيم النخعي: (إني لأرىٰ الشيء مما يُعاب فما يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلىٰ به)[٤].

وجاء عن بعض السَّلف أنَّه قال: (أدركتُ قومًا لم يكن لهم عيوبٌ، فذكروا عيوبَ الناس، فذكر الناسُ لهم عيوبًا، وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عُيوب الناس، فنُسِيَت عيوبهم)[٥].

فاحذر أيها المؤمن من هذه الخصلة الذميمة، وإياكَ إياكَ أن تتَّبع

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر (٢/١١٠).
(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر (٣/٥٣).
(٣) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي (٢/٣٨).
(٤) صفة الصفوة، لأبي الفرج الجوزي (١/٣٢١).
(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/٢٩١).

عورات إخوانك واربأ بنفسك أن تكون كمثل الذباب الذي لا يقع إلا على الصديد، (فإن الجاهل بمنزلة الذباب الذي لا يقع إلا على العقير ولا يقع على الصحيح)[1]. فأُعيذك بالله أن تكون ممن هذا ديدنه وحاله.

وحذارِ حذارِ من سوء الظن بأخيك المسلم، فإذا وقع في قلبك ظن السوء، فاعلم أنه من وسوسة الشيطان، فينبغي عليك أن تكذبه، فإنه قد فسق عن أمر ربه، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فلا يجوز تصديق وسواس الشيطان، فإن كان هناك قرينة تدل على فساد واحتمل خلافه، لم تجز إساءة الظن، ومن علامة إساءة الظن بأخيك أن يتغير قلبك معه عمَّا كان عليه، فتنفر منه وتستثقله وتفتر عن مراعاته وإكرامه، والاهتمام بسيئته، فإن الشيطان قد يقرب إلى قلبك بأدنى احتمال مساوئ الناس، ويزين لك: أن هذا من فطنتك وذكائك وسرعة تنبهك، وأنك تنظر بنور الله، وإنما في الحقيقة أنك ناطق بغرور الشيطان وظلمته، وإن أخبرك عدل بذلك، فلا تصدقه ولا تكذبه لئلا تسيء الظن بأحدهما، ومهما خطر لك سوء في مسلم، فزد في مراعاته وإكرامه، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك مثله خيفة من اشتغالك بالدعاء له.

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٦/١٥٠).

## سادسًا: حب الرئاسة والشهرة

فبسبب حب الشهرة والرئاسة كُثر التنازع والشقاق بين بعض الدعاة، ولو تجردت النيَّات للبحث عن الحقيقة، وأقبل أهلها وهم بُعداء عن طلب الغلبة والسمعة والرئاسة والمنافع الدنيوية؛ لصفيت المنازعات التي ملأت التاريخ بالأكدار والمآسي!

لقد شاهد الكثيرون من العقلاء أن هناك توافه ضُخِّم الخلاف فيها وامتد قرونًا؛ لأن هذا الخلاف اقترن ابتداءً بمنافع سياسية، ومصالح شخصية، على حين أنه انكمش الخلاف في مسائل مهمة من أصول الدِّين!

وإذا كان الاختلاف في أصله مذمومًا إلا أن هناك (اختلافًا آخر مرذول هو: الاختلاف من أجل المصالح والمغانم الخاصة، ومع الأسف الشديد فقد بدأ في التسلل إلى صفوف الدعاة بصورة مفزعة، ولا بد له من علاج حاسم قبل أن يطيح بالأمة ويذهب بها مع الذاهبين، وأرى أنه لا سبيل إلى ذلك إلا بإحياء عقيدة الحب في الله والبغض في الله في النفوس من جديد، وتربية الأمة على منهج جديد، وتربية الأمة على منهج السلف الصالح)[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: (النفوس مشحونة بحب العلو والرئاسة بحسب إمكانها، فتجده يوالي من يوافقه على هواه، ويعادي من يخالفه في هواه)[2].

(١) حاشية إتمام المنِّة، للدكتور الوليد الفريان (ص٤).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨/٢١٨).

وهذا الأمر قد رآه الكثير واقعًا بين بعض الدعاة، وللأسف تزداد مصيبة الدِّين حينما يكون الاختلاف بينهم ظاهره أنه نصرة للدين، وباطنه محبة للشهرة وإرادة العلو، ومن أجل مصالح ومنافع دنيوية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لِمَا في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحو ذلك، فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك؛ لِمَا في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له، وما أكثر هذا في بني آدم، وهذا ظلم)[1].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ما من أحد أحب الرئاسة إلا حسد وبغىٰ وتتبع عيوب الناس، وكره أنْ يُذكرَ أحدٌ بخير. وقال أبو نعيم: والله ما هلك من هلك إلا بحب الرئاسة)[2].

قال أبو العتاهية:

حب الرئاسة أطغى من على الأرض  حتىٰ بغىٰ بعضهم فيها علىٰ بعض

وقال ابن عبد البر في قصيدة له جميلة[3]:

حُبُّ الرِّئَاسَةِ دَاءٌ يَخْلِقُ الدّنيا  وَيَجْعَلُ الْحُبَّ حَرْبًا لِلْمُحِبِّينَا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (ص٣٧).
(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ص٢٢٧).
(٣) المرجع نفسه (ص٢٢٧).

يَفْرِي الْحَلَاقِيمَ وَالْأَرْحَامَ يَقْطَعُهَا فَــلَا مُــرُوءَةَ تُبْقِــي وَلَا دِينَــا
مَنْ دَانَ بِالْجَهْلِ أَوْ قَبِلَ الرُّسُــوخَ فَمَــا تُلْفِيــهِ إِلَّا عَــدُوًّا لِلْمُحِقِّينَــا
يَشْـنَا الْعُلُـومَ وَيَقْلِي أَهْلَهَـا حَسَـدًا ضَــاهَىٰ بِــذَلِكَ أَعْــدَاءَ النَّبِيِّينَــا

إن محبة الشهرة قد تقود الإنسان لاتباع هواه، ومخالفة الحق الواضح عن قصد، فمن أجل الشهرة ترىٰ بعض هؤلاء متطلعًا لمخالفة العلماء أو لمن له أثر كبير في دعوة الناس للخير، وذلك من أجل أن يشتهر ويُعرف بين الناس بأنه قد ردَّ علىٰ العالم أو ردَّ العالم عليه، والتاريخ مليء بمثل تلك الوقائع والقصص، وفيها الكثير من العبر والعظات (من ذلك ما وقع لرجل يقال له أحمد بن عبد الدائم بن ساهل، وكان شاعرًا مشهورًا مولعًا بالهجاء، ولما دخل دمشق قدَّم لقاضيها شهاب الدِّين الخوئي قصيدة هجو، فردها إليه، وقال: كأنك ذاهل، قال: لست ذاهلًا بل صنعت ذلك عمدًا لأشتهر؛ لأني رأيت الناس اجتمعوا علىٰ الثناء عليك، فرأيت أن أخالفهم!! فإني لو مدحتك فأعطيتني لم يشعر بي أحد، فإذا هجوتك وعزرتني يقال: من هذا، فيقال: هذا غريم القاضي فأشتهر!!)[1].

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: أخبرنا ابن التعياني قال: أخبرنا الزجاج قال: (كنا عند المبرد أبي العباس محمد، فوقف عليه رجل، فقال: أسألك عن مسألة من النحو؟ قال: لا. فقال: أخطأت.

فقال: يا هذا كيف أكون مخطئًا أو مصيبًا، ولم أجبك عن المسألة

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر (١/١٧١).

بعد؟ فأقبل عليه أصحابه يعنفونه، فقال لهم: خلوا عنه ولا تعرضوا له أنا أخبركم بقصته، هذا رجل يحب الخلاف، وقد خرج من بيته وقصدني على أن يخالفني في كل شيء أقوله ويُخطئني فيه، فسبق لسانه بما كان في ضميره)[1].

ولا يُستغرب حينما يتصدَّر بعض طلبة العلم والدعاة لنوازل الأمة من أجل الشهرة، سواء كانت في الأمور السياسية وفي القضايا الدولية، أو في مسائل الجهاد وغيرها، فلا تراهم يرجعون لمَن رسخت أقدامهم من العلماء الكبار؛ ولا يصدرون عن أقوالهم، بل يتعجلون في إبداء آرائهم وينازعون الأمر أهله، ولو سكتوا لقلَّ الخلاف.

إن محبة الشهرة والرئاسة قد أفسدت وأثَّرت سلبًا في الدعوة والدعاة، ومن شاهد فِعْلها في الكبار لم يستغرب أثرها في الصغار.

لقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (أن كثيرًا من طلبة العلم ليس مقصودهم به ـ العلم ـ إلا تحصيل رياسة أو مال ولكل امرئ ما نوى، وأما أهل العلم والدِّين الذين هم أهله، فهو مقصود عندهم لمنفعته لهم، وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة، كما قال معاذ بن جبل في صفة العلم: إنَّ طلبه لله عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يُعرف الله ويعبدونه، ويُمجد الله ويُوحد، ولهذا تجد أهل الانتفاع به يزكون به نفوسهم، ويقصدون فيه اتباع الحق لا اتباع الهوى، ويسلكون فيه سبيل العدل والإنصاف، ويحبونه ويلتذون به، ويحبون كثرته

(١) العزلة، للخطابي (ص١٦٦).

وكثرة أهله، وتنبعث هممهم على العمل به وبموجبه ومقتضاه، بخلاف من لم يذق حلاوته، وليس مقصوده إلا مالًا أو رياسة، فإن ذلك لو حصل له بطريق آخر سلكه، وربما رجحه إذا كان أسهل عليه)[١].

ولذلك كان (من علامات العلم النافع أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرئاسة والشهرة والمدح)[٢]. إلا أن البعض اتخذ طريق القدح والذم لإخوانه سُلمًا؛ لأنه في ظنه أقرب طريق للشهرة والتصدر، فهو طريق لا يحتاج عنده إلى كبير عناء كما هو حال العلم والبحث فيه، لكنه لما رأى أنه لم يُعرف ولم يشتهر إلا بذلك اتخذ هذا الطريق الوعر مركبًا له، اللهم سلِّم اللهم سلِّم.

وقد يُظهر البعض الغيرة على الدِّين في قالب النصيحة؛ حينما يرى من يخاف مزاحمته من أقرانه على منصب أو رئاسة، فلا يستطيع إسقاطه من أعين الناس إلا بسبب شرعي ديني، فيبحث له عن زلة (مثل: أن يكون قد ردَّ قولًا ضعيفًا من أقوال عالم مشهور، فيشيع بين مَن يعظِّم ذلك العالم، أن فلانًا يُبغِضُ هذا العالم ويذمُّه ويطعن عليه، فيغرُّ بذلك كل من يعظِّمه)[٣]، ومقصوده الحقيقي من هذا الذم والسب هو الوصول لغاية من رئاسة أو شهرة أو مال أو (ليتوصل بذلك إلى هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح والذب عن علماء الشرع)[٤].

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٨/١٠٨).
(٢) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب (ص٥٤).
(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير، لابن رجب (ص٢٣).
(٤) المرجع نفسه (ص٢٤).

(فإن الإنسان عليه أولًا أن يكون أمره لله ، وقصده طاعة الله فيما أمره به ، وهو يحب صلاح المأمور أو إقامة الحجة عليه ؛ فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره ، كان ذلك حمية لا يقبله الله ، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطًا ، ثم إذا ردَّ عليه ذلك وأُوذي أو نسب إلىٰ أنه مخطئ وغرضه فاسد ؛ طلبتْ نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان ، فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوىٰ يطلب به أن ينتصر علىٰ من آذاه! وربما اعتدىٰ علىٰ ذلك المؤذي ، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه ، وأنه علىٰ السُّنَّة ، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوىٰ أنْ ينتصر جاههم أو رياستهم وما نُسب إليهم ، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون الدِّين كله لله ، بل يغضبون علىٰ مَن خالفهم ، وإنْ كان مجتهداً معذورًا لا يغضب الله عليه ، ويرضون عمن يوافقهم ، وإن كان جاهلًا سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا إلىٰ أنْ يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم علىٰ أهواء أنفسهم لا علىٰ دين الله ورسوله ، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ، ويقولون: هذا صديقنا وهذا عدونا ، وبلغة المُغْلِ: هذا بالٍ هذا باغٍ ، لا ينظرون إلىٰ موالاة الله ورسوله ، ومعاداة الله ورسوله ، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس)[1] .

إن حب الرئاسة والعلو علىٰ الخلق الذي حمل بعض الدعاة علىٰ ذم بعض العلماء أو الدعاة ؛ فأظهروا الغَيْرة علىٰ الدِّين ليتوصلوا إلىٰ ما يكون

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية (٥/١٧٩) .

فيه مصلحة لأنفسهم أو جماعتهم. وإذا أردت أيها السني أن ترىٰ فعل الرئاسة في هؤلاء المتعصبين لجماعاتهم، فانظر إليهم حينما يَنَالُ أحد أفرادهم أو بعضهم منصبًا من الرئاسات الدنيوية، كيف يُستغل في محاربة إخوانه أو الوقوف ضد من لا يوافقهم في كل صغيرة وكبيرة، فجعلوا تلك الأماكن حكْرًا علىٰ أصحابهم، ومن أراد أن يتأكد من استفحال هذا الداء؛ فلينظر فيما يحصل بين من ينتسب للعلم من حملة الشهادات العالية في الكليات الشرعية، وما يحصل فيها من تكالب علىٰ الرئاسات بحجة نفع الدِّين، والصحيح أنه لنفع الجماعة إلا من رحم الله تعالىٰ.

وإن هذا التعصب واستغلال الرئاسة والسلطة ليس حكْرًا علىٰ الجماعات الدعوية، بل قد يكون ذلك بين المذاهب الفقهية (رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز. ولا أقول العوام، بل العلماء، كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في أيام ابن يوسف، فكانوا يتسلَّطون بالبغي علىٰ أصحاب الشافعي في الفروع، حتىٰ لا يمكِّنوهم من الجهر والقنوت، وهي مسألة اجتهاد، فلما جاءت أيام النظام، ومات ابن يوسف، وزالت شوكة الحنابلة، استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة، فَاسْتَعْدَوْا بالسجن، وآذوا الْعَوَامَّ بِالسِّعَايَاتِ)[1].

(١) الفروع، لابن مفلح (٢/٤٥٣).

## سابعًا: الجدل والمماراة

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨]»[(١)].

(إن من أشد الأسباب لإثارة الحقد والحسد بين الإخوان المماراة، ولا يبعث عليها إلا إظهار التميز بزيادة الفضل والعقل واحتقار المردود عليه، ومن مارىٰ أخاه، فقد نسبه إلىٰ الجهل والحمق، أو إلىٰ الغفلة والسهو عن فهم الشيء علىٰ ما هو عليه، وكل ذلك استحقار، وهو يوغر الصدر، ويوجب المعادة، وهو ضد الأخوة)[(٢)].

فكم من أخوَيْنِ متحابَيْنِ أورث الجدل والمماراة بينهما التدابر والتقاطع، بعد أن كانت قلوبهما في مودة ووئام، فصعب بعد المماراة رجوعهما علىٰ ما كانت عليه.

وَاحْرَصْ على حِفْظِ القُلُوْبِ مِنَ الأَذَى فرجوعها بعد التنافر يصعب

إن القُلوبَ إذا تنافر ودُّها شِبْهُ الزُجَاجَةِ كسْرُها لا يُشْعَبُ

وكان الإمام مالكٌ ﷺ يكره المجادلة، قال الهيثم بن جميل: (قلت لمالك: يا أبا عبد الله، الرجل يكون عالمًا بالسُّنن يُجادل عنها؟ قال: لا،

(١) أخرجه الترمذي (٥/٣٧٨) رقم (٣٢٥٣)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي (ص١٠١).

ولكن يُخْبر بالسُّنَّة، فإنْ قُبِلَ منه، وإلاَّ سكت)[1].

إن من الآثار السيئة للجدل: أنه مذهب لبركة العلم، وقد يُورث صاحبه قسوة القلب، قال إسحاق بن عيسىٰ: (كان مالك يقول: المِراء والجِدال في العلم يَذهبُ بنور العلم من قلب الرجل. وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: المراء في العلم يُقسِّي القلوب، ويورِّث الضغن)[2]. وقال عَبْدَةُ بن أبي لبابة: (إذا رأيت الرجل لَجُوْجًا، مُمَاريًا، مُعْجبًا برأيه، فقد تمت خسارته)[3].

(وما من إنسان في الغالب أُعطي الجدل إلا حُرِم بركة العلم؛ لأن غالب من أُوتي الجدل يريد بذلك نصرة قوله فقط؛ وبذلك يُحرم بركة العلم)[4].

قال النبي ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[5].

لقد كان السلف يحرصون علىٰ نشر الفهم الصحيح للكتاب والسُّنَّة،

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٢٤٨).
(٢) المرجع نفسه (١/٢٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/٢٢٩).
(٤) تفسير سورة البقرة، لابن عثيمين (٢/٤٤٤).
(٥) أخرجه أبو داود (٤/٤٠٠) رقم (٤٨٠٠)، والطبراني في الكبير (٨/٩٨)، وصحح إسناده الإمام ابن القيم في المدارج (٢/٣٠٧)، وحسن إسناده شيخنا ابن باز في حاشيته علىٰ البلوغ (ص٨١٠).

فإن قُبِل منهم حمدوا الله تعالىٰ، وإن رُدَّ قولهم لم يتضجروا أو يتجاوزوا حدود ما أنزل الله تعالىٰ، فينشغلوا بالمماراة والجدل.

قال سفيان بن عيينة ﷺ: (سمعت رجلًا من أهل البصرة يذكر عن الحسن البصري أنه قال: ما أدركت فقيهًا قط يُماري ولا يُداري، ينشر حِكَمَ الله فإن قُبلت حمد الله، وإن رُدَّت حمد الله)[1]. وهذا والله هو أحد أسباب بركة علمهم، وانتشار فهمهم، وقبول نصحهم، قال بعض السلف: (إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شرًا فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل)[2].

لقد كان حرص السلف علىٰ العلم والعمل، ولم تكن همة أحدهم قيل وقال وكثرة السؤال؛ بل كانوا يكرهون الجدل، ويتجنبون المجادلة والمماراة، تركوا ذلك عن علم ودراية وخشية، ولم يسكتوا عن حق أبدًا بسبب جهل أو عجز منهم.

قال الإمام الحافظ ابن رجب ﷺ: (فما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلًا ولا عجزًا، ولكن سكتوا عن علم وخشية للَّه. وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم، ولكن حبًا للكلام وقلة ورع، كما قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون: هؤلاء قوم ملَّوا العبادة، وخفَّ عليهم القول، وقلَّ ورعهم، فتكلموا)[3].

(١) الإبانة الكبرىٰ، لابن بطة (٢/٥١٠).
(٢) فضل علم السلف علىٰ الخلف، لابن رجب (ص٣٥).
(٣) المرجع السابق (ص٣٧).

نعم نحن في زمن قلَّ فيه الورع، وقلَّ فيه العلماء العاملون، وكُثر فيه المتعالمون المجادلون. فلا تستغرب حينها من مُضي الساعات الطوال، وأنت تسمع لهؤلاء الصيحات، وتشاهد كيف وصل الحال بأحدهم وأنت تراه يُرغي ويُزبد في مماراة مع إخوانه في قضية اجتهادية، مآلها وقوع التنافر والتباغض.

لقد كان سلفنا الصالح يخبرون بالسُّنَّة ولا يجادلون عليها، بل كانوا يفرون من الخصومة والجدل، وللأسف بعض الدعاة اليوم يبحثون عن الخصومة والجدل للمهاترات والمساجلات العلمية، ولا يبتعدون عن أسباب المماراة والجدال.

هكذا كان السلف أهل تسليم وعمل، ولم يكونوا أهل تسويف وجدل، فكان ﷺ يعلمون (أن ترك الخصومة والجدال هو طريق من مضىٰ، ولم يكونوا أصحاب خصومة ولا جدال، ولكنهم كانوا أصحاب تسليم وعمل)[1].

وكانوا أيضًا يهربون من الخصام والجدال تدَيُّنًا، وحرصًا منهم علىٰ سلامة قلوبهم من القسوة، وأعمالهم من الرياء، وخوفًا أن تكون بقصد الغلبة وحب الانتصار.

ولم يزل العلماء البررة ممن جاء بعدهم علىٰ هذا النهج القويم، ينأون بأنفسهم عن مرتع المماراة والخصومة، فهذا العلَّامة السعدي في مراسلاته لتلميذه البار العلَّامة ابن عقيل ـ ﷺ ـ يبين له كيف أنه ترك التمادي في

(١) السنة، للخلال (٤/٢٢).

الجدل فيما ليس له ثمرة.

قال ﷺ: (من مدة كم شهر وصلني كتاب (فلان)، يُنكر فيه ما ذكرته في باب حكم المرتد، وتفصيلنا في أهل البدع ذلك التفصيل. وإنكاره في شدة عظيمة، فرددت عليه بلطف، وأحلته بهذا التفصيل على كلام الشيخ وابن القيم، ولم أناقشه في شدته، ولا حاسبته على ألفاظه غير اللائقة؛ لأني ظهر لي أن البحث والتمادي معه ما له ثمرة ولا نتيجة.

ثم جاءني كتاب أشد من الأول، ويزعم أن هذا التفصيل مخالف لمذهب الأمة، وأنه باطل متناقض، وأننا أتينا بمنكرات وطامات... إلى آخر ما ذكر.

كلام يعجب الإنسان كيف يصدر ممن ينتسب إلى العلم، من دون أن يعرف ما عند صاحبه، ومن دون أن يقابله!! لهذا ما أحببت أتمادى معه في البحث الطويل..)[1].

لو اقتصر كثير من الدعاة بمثل ما اقتصر عليه العلاَّمة السعدي من عدم التمادي عند عدم وجود الثمرة؛ لسقطت كثير من الخصومات، وارتاحت العامة والخاصة من تلك المماراة، والتي يغلب عليها محبة الظهور، وطلب الغلبة والعلو، وحب الاستكثار من المؤيدين والأتباع في زمن فتنة الإعلام.

فاتقوا الله يا دعاة أهل السُّنَّة، وابتعدوا عن المماراة والمسائل التي

(١) الأجوبة النافعة، للسعدي (ص١٢٠).

تثير الخصومة، أو تؤدي إلى التنازع والجدال، فليس هذا شأن طلاب الآخرة، واعلموا أن ذلك من أسباب الفرقة والاختلاف كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم: بالمراء والخصومات)[1].

(١) اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١/١٢٧).

## ثامنًا: الأصابع الخفية من (أعداء الإسلام والسُّنَّة) الذين يثيرون الفتن والفُرْقة

إن من أعظم أسباب الخلاف بين الدعاة وإيقاد نار العداوة بينهم؛ التخطيط الدقيق والتنظيم الخفي لأعداء الإسلام والسُّنَّة خصوصًا من جهة المنافقين وغيرهم؛ لقصد إثارة الخلاف بين دعاة أهل السُّنَّة قال الله ﷻ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، قال قتادة: (الحسنة: هي الألفة والجماعة، والسيئة: الفرقة والاختلاف)[(١)].

وقال تعالى محذرًا عباده المؤمنين من فتنة المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧] قال الإمام ابن كثير: (أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة. وقوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير.

وقال مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن جرير: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي: عيون يسمعون لهم الأخبار، وينقلونها إليهم. وهذا

(١) زاد المسير، لأبي الفرج الجوزي (١/٤٠٤).

لا يبقىٰ له اختصاص بخروجهم معهم، بل هذا عام في جميع الأحوال)[1].

فإذا كان قد خفي علىٰ بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كلام المنافقين وحالهم، فمن باب أولىٰ أن يخفىٰ علينا حال هؤلاء المنافقين الذين كثروا في بلاد المسلمين لا كثرهم الله!

قال ابن عثيمين رحمه الله: (أدعو الشباب ولا سيما طلاب العلم، أدعوهم إلىٰ الائتلاف والاتفاق وتوحيد الكلمة، وإني أخبرهم سواء علموا أم لم يعلموا، أن تفرقهم هذا سبب لنشاط الآخرين الذين يقومون بالباطل؛ لأن أهل الباطل إذا رأوا أهل الحق متنازعين يسرهم هذا، وربما يُحرِّشون بينهم، ويلقون بينهم العداوة، فإياكم أنْ تُدْخِلوا أهل الشر بينكم فيفرقوكم)[2].

وقال رحمه الله أيضًا: (لا شك أن هذا الذي يحدث بين الشباب الملتزم من التفرق وتضليل بعضهم بعضًا وحمل العداوة والبغضاء لمن لا يوافقهم علىٰ منهاجهم، لا شك أنه محزن ومؤسف، وربما يؤدي إلىٰ انتكاسة عظيمة، ومثل هذا التفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس؛ لأن شياطين الإنس والجن لا يودون من أهل الخير أن يجتمعوا علىٰ شيء)[3].

إن كثيرًا من المنافقين عمومًا، ومن الفرق الضالة من أهل البدع خصوصًا، من يتبنىٰ مشروع بث الفرقة بين أهل السُّنَّة، وقد يستدلون بآراء

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٦٠).
(٢) شريط العشر الأواخر من رمضان، لابن عثيمين.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (٢٧/٣٢٣).

شاذة وأقوال مُطَّرِحة ليس عن قناعة منهم بها؛ وإنما هي قناعات سياسية يُقصد من خلالها بث الشبهات وإثارة النعرات بين دعاة أهل السُّنَّة، ويعظم شرر أولئك حينما يتولون مراكز السيطرة على وسائل الإعلام ووزارات التعليم والأبحاث؛ ليبثوا شبههم وينشروا أفكارهم، وللأسف يوجد منا من يكون سمَّاعًا لهم، مسترشدًا بهم.

وقد وجِد من أهل السُّنَّة من وقع في شراك أهل البدع واستُدرِج حتى سقط في شباكهم عن غفلة وحسن نية لا عن خبث وسوء طويَّة، وهذا ما نشاهده اليوم من سقوط بعض دعاتنا في فخ أولئك الذين تسللوا لِواذًا تحت جُنح الظلام والغفلة؛ ليظهروا في وسائل التواصل بمعرِّفات وهمية وبأسماء مختلقة في (تويتر) وغيرها، فاغتروا بهم لمَّا رأوهم يلبسون لباس السُّنَّة ويُظهرون الغيرة على السُّنَّة، وهم في الحقيقة حاقدون على السُّنَّة وأهلها، يؤججون نار الفتنة بينهم، وقد انخدع بهم بعض دعاتنا لمجرد وقوفهم بالظاهر معهم في الطعن بإخوانهم!!

وإن من أخبث هذه الفرق الضالة المارقة، الرافضة قاتلهم الله أنَّى يؤفكون، ومن تأمل ما حصل منهم خصوصًا في هذا الوقت الذي ظهرت فيه شوكتهم، وزاد شرهم، أيقن أنهم يثيرون دائمًا المحن، ويوقدون بين أهل السُّنَّة نار الفتن ـ قبَّحهم الله ـ فهذا دأبهم منذ قديم الزمن ليصلوا إلى مآربهم الدنيئة.

إن أعداء السُّنَّة لا زالوا يبثون الشبهات، وذلك بما ينقلونه عن علماء الإسلام في بعض المسائل الشاذة والأقوال الضعيفة من أجل إثارة الفتنة

بين أهل السُّنَّة لإيقاعهم في الشبهات، وهذه طريقتهم في الماضي والحاضر، كما قال ابن تيمية رحمه الله: (وبمثل ذلك صار وزير التتر يُلقي الفتنة بين مذاهب أهل السُّنَّة، حتى يدعوهم إلى الخروج عن السُّنَّة والجماعة، ويوقعهم في مذاهب الرافضة وأهل الإلحاد)[1].

إن أعداء السُّنَّة يحرصون على بث أسباب الفرقة والنزاع بين الدعاة خصوصًا بين الدعاة على وجه الخصوص؛ لأن هذا قطعًا يحقق لهم من الغايات، ما لا يستطيعون الوصول إليه بمكرهم وكيدهم، وذلك أن الهدم من الداخل أشد فتكًا وأعظم ضررًا، ولذا كان خطر المنافقين أكبر وأظهر، وإن عدم إدراك هذه الحقيقة يجعل الداعية يخالف إخوانه من الدعاة بدلًا من أعداء الله، ويتفرغ لتتبع أخطائهم وعثراتهم، فيفرح بذلك أعداء الله.

بل ربما استغل الأدعياء والمنافقون هذا التنافس والصراع من أجل المصالح، فنادى هؤلاء الأشرار ـ من خلف الستار ـ أصحاب النيات السليمة من طلبة العلم في تلك الجماعات، فأفسحوا لهم المجال الإعلامي، وفتحتوا الباب على مصراعيه لكلا الطرفين ليهاجم بعضهم بعضًا، ومقصودهم النيل من كلتا الطائفتين؛ ليصدوا بهذا الشقاق والخلاف الناس عن طريق الهداية، وليضعوا كل المعوقات أمامهم؟!

فما أشده من داء يخترق اللحم ليصل إلى العظم؛ حين يعجز الكل عن القيام بمهامه التي أمرهم الله بها، من الاجتماع على الخير والتواصي بالحق، فعلى الداعية الفطِن أن يفوِّت على الأعداء الفرصة، وأن يخذِّلهم

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣٧/٣٢).

بمعرفته حقيقة الاختلاف السائغ المبني على الاجتهاد، وأن يحرص على التعاون مع إخوانه، لنشر الدِّين ولإشاعة الخير.

وإن من الحقد الدفين والمكر الكبير في هؤلاء الأعداء، إشغال بلاد المسلمين عن طريق تفريق دعاتها، ومحاولة الإفساد بينهم وبين علمائهم، والتشويش على العامة ببث الفرقة بين دعاتها ومصلحيها.

بل قد يسعى أولئك المنافقون باستغلال الاختلاف في المواقف السياسية بين عالمين أو أكثر أو بين طائفة وأخرى ـ وخصوصًا في هذا الزمن المشحون بالتغيرات السياسية وتقلباتها في بلاد المسلمين ـ ليثيروا الخلاف بينهم، فيقفع الجفاء والعداوة بسبب موقف سياسي رضيه أحدهما وكرهه الآخر، والمصيبة الكبرى أن يُضخَّم هذا الخلاف في الموقف السياسي، فيُلبَّس لباس الدِّين ليكون الخلاف خلافًا عقديًا، يُعقد له رايات الولاء والبراء.

# علاج الاختلاف

سبق أن ذكرنا الأسباب المؤدية للخلاف والنزاع بين العاملين في حقل الدعوة من أهل السُّنَّة، وإن من الأهمية بمكان أن نعقب ذلك بأهم الوسائل المعينة لعلاج هذا الاختلاف بين الدعاة؛ والتي ـ في ظني ـ تساعد في حل تلك الخلافات بين دعاة أهل السُّنَّة، أو تخفف من تلك الحِدَّة بينهم، أصلح الله شأنهم.

وهنا أود أن أنبه أنه لا بد أن نُدرك أن علاج هذا الواقع الأليم من التنازع والتفرق الحاصل بين الدعاة، واجب على الجميع كلٌّ بحسب قدرته واستطاعته، وأولى الناس للقيام بهذا الأمر من الدعوة للاجتماع، ورَأْبِ الصَّدْعِ بين الدعاة؛ هم العلماء الربانيون وكذلك الحكام الصادقون والمخلصون لهذا الدِّين، فإنه يتحتم عليهم أن يسعوا جميعًا إلى جمع كلمة المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

إن مما ينبغي على كل غيور على دينه وهو يرى هذا الاختلاف بين أهل السُّنَّة، أن لا يستسلم لهذا الواقع المرير، مستدلًا بأحاديث الافتراق وتنزيلها على إخوانه السُّنَّة، أو زعمه أن المفارقة مشروعة، فيذعن ويرضى بهذا التفرق المذموم، مما يجعله لا يسعى في طريق الإصلاح والدعوة لجمع الكلمة على الحق استسلامًا منه لقدر المفارقة، بل علينا أن ندرك

جميعًا أن وقوع الافتراق هو دافعٌ لكل مسلم غيور على السُّنَّة بأن يسعى في اجتماع كلمة أهل السُّنَّة.

إن العلاج المثمر لهذا الواقع الأليم سهل ميسور بإذن الله تعالى؛ إذا صدقت النية، وأعقبها العمل الجادّ للسعي في رَأْبِ الصدع، وجمع القلوب على شرع علاَّم الغيوب.

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وإذا حسنت النية سهل العلاج، أما إذا لم تحسن النية، وكان كل واحد معجبًا برأيه، ولا يهمه غيره، فإن النجاح سيكون بعيدًا)[1].

إن جمع كلمة المسلمين على الحق والسعي في ذلك هو مما يرضي الله تعالى، وبه يستقيم حال المسلمين وأمرهم، وبه تجتمع قوتهم، وتعظم به رابطة أخوتهم، فعلى الداعية المُصلح أن يسعى في جمع القلوب، ولا ييأس من كثرة الأشواك والعراقيل التي وُضِعت أمام سبيل المصلحين.

وليكن على يقين أن الروابط التي بين دعاة السُّنَّة كثيرة (فإذا كان ربهم واحدًا، ورسولهم واحدًا، ودينهم واحدًا، ومصالحهم العامة متفقة، فلأي شيء يختلفون اختلافًا يُفرِّق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنيوية ما يفوت، ويموت من دينهم، بسبب ذلك ما يموت؟! فنسألك اللهم، لطفًا بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام)[2].

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٧/٤٢٦).
(٢) تفسير السعدي (ص٣٧٣).

فمن أهم الوسائل المعينة لعلاج الاختلاف والتنازع الحاصل بين دعاة أهل السُّنَّة ما يلي:

## أولًا: السعي في الإصلاح بين الدعاة

إن السعي الحثيث والعزم الصادق، للإصلاح بين الدعاة وجمع كلمتهم أمر في غاية الأهمية، ولو علم المتنافسون على الأجور، ما يترتب على فضل الإصلاح بين الناس عمومًا، وبين الدعاة لدين الله خصوصًا؛ لَمَا تأخر أحد منهم في ذلك؛ ولسارعوا جميعًا لرضى الرب الكبير المتعال؛ ليحوزوا على عظيم الأجر والنوال، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»(١).

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»(٢).

(١) أخرجه الطبراني (٢٠/١٣) رقم (٣١)، والبزار رقم (٢٠٥٩)، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف من جهة حفظه لا من جهة عدالته، لكن للحديث شاهد من حديث أبي الدرداء ﷺ الذي بعده.

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢٧٥٤٨)، وأبو داود رقم (٤٩٢١)، والترمذي رقم (٢٥٠٩)،=

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب الأنصاري ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ تِجَارَةٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: تَسْعَىٰ فِي صُلْحٍ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»[(١)].

وقال ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] قال ابن عباس ﷺ: (الشفاعة الحسنة هي: الإصلاح بين النَّاس، والشفاعة السيئة هي: المشي بالنميمة بين النَّاس)[(٢)].

ونظرًا لأهمية الإصلاح وعظم شأنه، ذكر الفقهاء[(٣)] جواز دفع الزكاة لمن غرِم من ماله، ولزمه الدَّين لإطفاء فتنة وقعت بين اثنين أو طائفتين، فيجوز دفع الزكاة لأجل ذلك.

## ۞ السعي في تأليف القلوب من أهم أصول أهل السُّنَّة والجماعة:

إن السعي لأجل الإصلاح بين الدعاة مقصد شرعي كبير، وإعمال لأصل عظيم من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، **فمن من أهم أصول أهل السُّنَّة والجماعة: السعي في تأليف القلوب، والتحذير من الفُرْقة بين المسلمين على وجه العموم، وبين الدعاة على وجه الخصوص.** قال الله

= وقال: «حسن صحيح».

(١) أخرجه البزار رقم (٦٦٣٣)، وحسنه الألباني، كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٤٥).

(٢) تفسير البغوي (٢/٢٥٦).

(٣) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي (٥/٣٧٨).

تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فمن الأمر بالمعروف: الأمر بالائتلاف والاجتماع، ومن النهي عن المنكر: النهي عن الاختلاف والفرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدِّين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]... وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهىٰ عن الفرقة والاختلاف.

وأهل هذا الأصل: **هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفُرْقة)**[(١)].

وقال العلامة السعدي ﷺ: (ومن أصولهم ـ أهل السُّنَّة ـ الحث علىٰ جمع كلمة المسلمين، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض، والعمل بكل وسيلة توصل إلىٰ هذا)[(٢)].

**إن السعي للإصلاح، وتقريب القلوب علىٰ الحق، هو أحد أنواع الجهاد في سبيل الله تعالىٰ**، (فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/٥١).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص٧).

الأصل، في تأليف قلوب المسلمين واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، في جميع أفرادهم وشعوبهم، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة)[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: (يجب على كل من تولى قيادة في طائفة من الشباب، يجب عليه أن يكون متزنًا في مَسْلكه، وأن يكون حريصًا غاية الحرص على أن يجتمع الشباب على دين الله ﷻ من كل ناحية، وفي أي جامعة كانت، وفي أي مدرسة كانت، وفي أي بلد كان، حتى نُكوِّن حزبًا لله ﷻ، من هذا الشباب المتطلع إلى العزة والكرامة والتمكين في الأرض)[٢].

وقال شيخنا صالح الفوزان حفظه الله: (الواجب على المسلم أن يسعى بالإصلاح وجمع الكلمة، والسَّعي في توحيد الصف على الحقِّ، لا أن يُفرِّق المسلمين ويُصنِّفهم إلى جماعات أو إلى فِرَق أو إلى غير ذلك، بل المطلوب منه إذا رأى شيئًا من الخلل في المسلمين أنْ يسعى إلى إصلاحه، فإذا رأى فُرْقة يسعى إلى جمع كلمة المسلمين.

هذا هو المطلوب من المسلم؛ أن يدعو إلى جمع الكلمة، وإزالة أسباب الفُرْقة؛ لأنّ هذا من أعظم النَّصيحة لأئمّة المسلمين وعامّتهم)[٣].

هكذا يقرر العلماء السلفيون في كتبهم، ويبيِّنون للناس في دروسهم،

(١) رسالة في وجوب التعاون بين المسلمين، للعلامة السعدي (ص٥).
(٢) شريط (قوة الشباب، وحكمة الشيوخ)، لابن عثيمين.
(٣) المنتقى من فتاوى الفوزان (١٠/٢٨).

أنَّ من أصول أهل السُّنَّة السعي لاجتماع الكلمة، ونبذ الفُرْقة والخلاف.

فأين أولئك المتنازعون عمَّا قرره علماء الأمة في بيان منهج أهل السُّنَّة؟ وأين هم عن هذا الأصل العقدي العظيم؟ هل عميت أبصارهم، أم أنهم أغمضوا عيونهم عن أقوال أولئك الأئمة؟!

## ۞المصلح لا ييأس من المُضي للسعي في الإصلاح:

المصلح لا ييأس من المضي قُدُمًا للسعي في قول الحق، وتقويم الاعوجاج بطريقة رضيَّة وأسلوب حكيم وأدلة مقنعة، فهو مع أهل التعصب في جهاد عظيم، فطوبىٰ له ولمَنْ سعىٰ في سبيل الإصلاح بين المسلمين، وطوبىٰ لمَنْ بذل وسعه لجمع شمل قلوب الدعاة وتوحيد كلمتهم؛ امتثالًا لأمر رب العالمين القائل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الأنفال: ١].

أسأل الله تعالىٰ أن يجعلني وإياك أيها القارئ من هؤلاء الذين نصحوا لله ولعباده، وهنيئًا لمن رزقه الله تعالىٰ هذا الفضل، فكان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، كما قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَىٰ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَىٰ يَدَيْهِ»[(١)].

ما أحوجنا في هذا العصر للعلماء والدعاة الذين يُصلحون ولا يُفسدون، ويجمعون ولا يفرقون، كما هو حال أكثر علماء أهل السُّنَّة في

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٢٣٧)، وحسَّن إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣/٣٢٠).

قديم الزمان وحديثه، وإنَّ من هؤلاء العلماء الذين مَنَّ الله عليهم بهذا الفضل، فجاهدوا كثيرًا لجمع الكلمة، سماحة شيخنا العالم العامل عبد العزيز بن باز ﷺ، (فقد كان ذا منهج فذٍّ في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وتعليم الناس الخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، يتَّسم بالرفق واللين في نصحه وردوده الكثيرة علىٰ غيره، منهج سديد يقوِّم أهل السُّنَّة ولا يقاومهم، وينهض بهم ولا يُناهضهم، ويسمو بهم ولا يَسِمُهم.

منهج يجمع ولا يُفرق، ويلمُّ ولا يُمزق، ويُسدد ولا يُبدد، وييسر ولا يُعسر، وما أحوج المشتغلين بالعلم وطلبته إلىٰ سلوك هذا المسلك القويم والمنهج العظيم؛ لِمَا فيه من جلب الخير للمسلمين ودفع الضرر عنهم)[1].

(١) الحث علىٰ اتباع السنة، للشيخ عبد المحسن العبَّاد حفظه الله تعالىٰ (ص٦١).

## ثانيًا: إحياء رابطة الحب في الله

الحب في الله من أوثق عرىٰ الإيمان، ولكن هذه العروة وهنت حينما قست القلوب ببعدها عن طاعة الرحمن؛ فامتلأت شحناء وبغضاء بعد أن وقع الدعاة في شِبَاك الدنيا وشِرَاك الشيطان؛ فتفرقوا أحزابًا، كلٌّ يعقد لجماعته خالص الولاء وشدة الانتماء، فلا يكون الحب في الله إلا لمن وافق رأي أصحابهم في كل صغيرة وكبيرة.

لقد نشأ جيل تساهل في هذه العبادة القلبية، والرابطة الأخوية، فلذلك كان لا بد من رأي حازم وعلاج حاسم قبل أنْ يُطيح التحزب ببنيان الأخوة، وليُعلم أنه لا سبيل إلىٰ علاج ذلك الداء إلا بهذا الدواء؛ ألا وهو إحياء عقيدة الحب في الله والبغض في الله في نفوس أولئك من جديد.

ما أعظم أن يتربىٰ الشباب علىٰ توثيق تلك الرابطة الأخوية، وإليك أيها القارئ طائفة من أحاديث سيد البشرية، نبينا محمد ﷺ خير البرية، تبين أهمية الأخوة في الله وعظم هذه الرابطة.

فمن تلك الأحاديث: ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ. فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا وجَلِّهِمْ لَنَا. قَالَ: قَوْمٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ مِنْ نِزَّاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَقُوا فِي اللهِ وَتَحَابَّوْا فِيهِ، يَضَعُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ ﷻ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»[١].

وما جاء أيضًا عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَحَبَّ عَبْدٌ عَبْدًا لِلَّهِ إِلَّا أَكْرَمَ رَبَّهُ ﷻ»[٢].

وكذلك ما جاء عن أَبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي»[٣].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (٤/١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩/٢٥٩) قال عنه الألباني: وهذا إسناد شامي جيد. انظر: السلسلة الصحيحة (٣/٢٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٨/١٢) رقم (٦٦٤٠).

## ثالثًا: سلامة الصدر

إن من الجهاد العظيم أن يُجاهد المرء نفسه بتزكيتها وتخليتها من الأمراض القلبية: كالبغضاء والغل والحقد على إخوانه المسلمين، فيُنَقي قلبه منها؛ فلا يطلب الانتقام من إخوانه؛ ليعيش سليم القلب منشرح الصدر، فإنه ليس أَرْوَح للمرء، ولا أَطْرد لهمومه، ولا أقرَّ لعينه، من أنْ يعيش سليم الصدر، مبرءًا من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد. وإياك ثم إياك أيها الأخ المبارك، أن ترىٰ قلبك منطويًا علىٰ الحقد؛ فلا تبادر إلىٰ علاجه ومداواته، وسل ربك أن لا يجعل فيه غلًا للذين آمنوا لتحظىٰ بنواله.

فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[1].

لقد حرص كثير من السلف الصالح علىٰ سلامة صدورهم لإخوانهم المسلمين؛ ابتغاءً لرضىٰ رب العالمين؛ وطلبًا لبلوغ الرتب العالية، واقتداءً بالنبي الكريم ﷺ.

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٢١٦)، وصحح إسناده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤٣٨٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤٨).

قال زيد بن أسلم: (دُخل على أبي دجانة ﷺ وهو مريض، وكان وجهه يتهلل. فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عَمَلٍ شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا)[١].

قال سعيد بن عبد العزيز الحلبي: (سمعت قاسمًا الجوعي يقول: أصل الدِّين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر)[٢].

قال الفضيلُ بن عياض ﷺ: (ما أدركَ عندنا مَنْ أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاءِ الأنفس، وسلامةِ الصدور، والنصح للأمة)[٣].

إذا مـــا المـــرء أخطـــأه ثـــلاثٌ ... فبِعـــه ولـــو بكـــفٍ مـــن رمـــادِ
ســـلامة صـــدره والصـــدق منـــه ... وكتمـــان الســـرائر فـــي الفـــؤادِ

## ❁ مواقف مشرقة لعلماء السُّنَّة في سلامة الصدر:

ومن هؤلاء الذين بلغوا الرتب العالية في سلامة صدره، إمام السُّنَّة: أحمد بن حنبل ﷺ، حيث كان يدعو في سجوده لمن زلَّ من المسلمين، فيقول: (اللهم من كان على رأي وهو يظن أنه على الحق، وليس هو على الحق، فرده إلى الحق؛ حتى لا يضل به من هذه الأمة أحد)[٤].

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١/٢٤٣).
(٢) صفة الصفوة، لأبي الفرج الجوزي (١/٤٧٢).
(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٢٢٥).
(٤) طبقات الحنابلة، لأبي يعلى (١/٢٠٤).

وتأمل في سيرة العالم الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وسلامة صدره للمسلمين حيث يقول: (لا أُحب أن يُنتَصر من أحد بسبب كذبه عليَّ، أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي)[1].

قال ابن القيم ﷺ متحدثًا عن شيخه وإحسانه إلىٰ من أساء إليه، وسلامة صدره لمَن آذاه: (وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: ودِدت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو علىٰ أحد منهم قط، وكان يدعو لهم. وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذىٰ له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلىٰ بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلىٰ مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام فَسُرُّوا به ودعوا له وعظَّموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه)[2].

تأمل كيف نهرَ الشيخُ تلميذه مع أنه لم يشتم أحدًا أمامه، ولكنه أتاه مخبرًا ومبشرًا بعدوٍ حقيقي له قد مات، وللأسف أن بعضًا ممن ينتسب للعلم يُشجع تلاميذه علىٰ شتم من يكرهون، بل يبتسمون في وجوههم ولا ينكرون، فلا ينهرونهم عن غيبة إخوانهم من طلبة العلم، ولا يتنكرون لهم

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/٥٥).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٣٤٥).

حينما وجدوا منهم الجرأة على أكل لحوم من لا يرتضونه من العلماء والدعاة، فأين طلبة العلم والدعاة عن هذا الخلق الكريم؟

وجاء أيضًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ أنه لما أكثر الناس في لوم بعض من تسبب بإيذائه، أو تكلَّم فيه أو قصَّر في الوقوف معه، أنكر عليهم ذم أو لوم من تسبب في إيذائه، ولم يرضَ ﵀ ولم يفرح أو يُظهر ذلك لهم؛ لأجل الانتصار له، بل ذكَّرهم بالأصل العظيم وأساس الدِّين الذي دعا له الشرع الحنيف، والدِّين القويم، وهو الاجتماع والوحدة لا الاختلاف والفُرْقة.

فقال ﵀: (نطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل كقول القائل: فلانٌ قَصَّرَ فلانٌ ما عَمِلَ فلانٌ أوذي الشيخ بسببه فلانٌ كان سبب هذه القضية فلانٌ كان يتكلم في كيد فلانٍ. ونحو هذه الكلمات التي فيها مذمة لبعض الأصحاب والإخوان، فإني لا أسامح من أذاهم من هذا الباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل مثل هذا يعود على قائله بالملام إلا أن يكون له من حسنة، وممن يغفر الله له إن شاء، وقد عفا الله عمَّا سلف)[(١)].

وهكذا كان سماحة شيخنا ابن باز ﵀ مع كل من كان يُسيء الأدب معه، أو من كان ديدنه الإيذاء له، والوقائع التي حدثت للشيخ في هذا كثيرة، من تلك الوقائع (أن رجلًا كان كثير السباب والشتم لسماحته ﵀ إبَّان قضائه في الدلم، فسافر الشيخ للحج، فتوفي ذلك الرجل، فأبى الإمام النائب عن سماحته صلاة الجنازة عليه، وقال: صلوا عليه، لا أصلي على

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/٥٣).

رجل يسب الشيخ عبد العزيز! فلما رجع الشيخ من الحج وبلغه الخبر أنكر ذلك، وقال: دلوني علىٰ قبره، فأخذ يستغفر له ويصلي عليه)[1].

عجبًا لتلك الأنفس الطاهرة، والقلوب السليمة التي اتقت وارتقت، وارتفعت بها الهمة فَعَلَتْ؛ نفوس تاقت للجنة فلامست عزائمها نجوم السماء، نفوس ورثت الأنبياء في حسن الخلق، كما ورثوهم في العلم.

وأنت أيها الأخ المبارك إن أردت أن تكون ذا قلب سليم فقل: (كل من أساء إليَّ بقول أو فعل أو اعتراض، وقصده بذلك وجه الله، أو كان قصده مشوبًا بعضه لله وبعضه تبع لغرض النفس؛ فهو مني في حِل، وقد سامحته لله ـ الذي للمسيء إليَّ ـ نوع احتساب، إن كان مخطئًا أو مزورًا عليه أو بانيًا علىٰ قول الطائفة التي عرفت بالاعتراض عليَّ؛ فكل هذه الأقسام قد سامحته لله، علمت بإساءته أو جهلتها، وأما من ليس له من المقاصد إلا الأغراض النفسية، والعدوان المتمحِّض الذي يعلمه من نفسه؛ فهذا لا أقابله بإساءته وأمره إلىٰ الله.

ومن وصل إلىٰ هذه الحالة فليحمد الله علىٰ هذه النعمة الكبرىٰ، وعلىٰ راحة الضمير، وعلىٰ كثرة ما يجني من الخير، وعلىٰ ما يرجىٰ له من جزاء ربه له ومعاملته له، وأنه يُرجىٰ أن يكمل الله له النواقص، ويعفو عما مزج فيه العبد أغراضه وشهواته النفسية مع داعي الإخلاص)[2].

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز، عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن الرحمة (ص٢٨٣).

(٢) مجموع الفوائد، للسعدي (ص٦١).

## رابعًا: العدل والإنصاف

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

قال ابن القيم رحمه الله: (أمر سبحانه بالقيام بالقسط، وهو العدل في هذه الآية، وهذا أمر بالقيام به في حق كل أحد عدوًا كان أو وليًا، وأحق ما قام له العبد بقصد الأقوال والآراء والمذاهب؛ إذ هي متعلقة بأمر الله وخبره، فالقيام فيها بالهوىٰ والمعصية مضاد لأمر الله منافٍ لما بعث به رسوله، والقيام فيها بالقسط وظيفة خلفاء الرسول في أمته، وأمنائه بين أتباعه، ولا يستحق اسم الأمانة إلا مَن قام فيها بالعدل المحض، نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعباده، وأولئك هم الوارثون حقًا)[1].

قال العلامة السعدي رحمه الله: (يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥] والقوَّام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط، الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده..، ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل

(١) الرسالة التبوكية، لابن القيم (ص٣٨).

يجعل وجهته العدل بينهما)[1].

وتأمل في قول النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ»[2].

ومما ثبت عنه ﷺ أنه كان يدعو الله ﷻ بهذا الدعاء: «أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا»[3].

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: (وجدت أفضل نِعم الله تعالىٰ علىٰ المرء أن يطبعه علىٰ العدلِ وحُبِّه، وعلىٰ الحق وإيثاره، وقال: وأما من طبع علىٰ الجور واستسهاله، وعلىٰ الظلم واستخفافه، فليأس من أنْ يصلح نفسه، أو يقوِّم طباعه أبدًا، وليعلم أنه لا يفلح في دين ولا في خُلُق محمود)[4].

(قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢] قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ أي: قولًا تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به علىٰ المقالات والأحوال، ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ في قولكم بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل

(١) تفسير السعدي (ص٢٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٥٦١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٨/٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٤/٤) رقم (١٨٣٥١)، والنسائي رقم (١٣٠٥) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وصحح إسناده الحاكم (٧٠٥/١)، وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٠١).

(٤) الأخلاق والسير، لابن حزم (ص٣٧).

على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم. بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبُعدها منه)[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: (العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال، والظلم لا يُباح شيء منه بحال، حتى إن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار في قوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨])[2].

أيها الدعاة: تأملوا في هذه الآية كيف نهى الله ﷻ (أنْ يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألَّا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألَّا يحمله ذلك على ألَّا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالمًا له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدِّين والدنيا، فإن الشيطان موكل ببني آدم وهو يعرض للجميع، ولا يسلم أحد من مثل هذه الأمور، دعْ ما سواها من نوع تقصير في مأمور أو فعل محظور باجتهاد أو غير اجتهاد، وإن كان هو الحق)[3].

والمقصود أنه لا يجوز لمَن سلك طريق أهل العلم والإيمان، أن يحمله بغضه للمخالف على أن لا يعدل فيه، أو يردَّ ما معه من حق، أو

(١) تفسير السعدي (ص٢٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٣٩/٣٠).
(٣) الاستقامة، لابن تيمية (٣٨/١).

يجحد ما وافق فيه الحق، كل ذلك من الظلم الذي لا يحبه له ولا يرتضيه خُلُقًا لأهل طاعته.

قال ابن القيم رحمه الله: (فإذا كان قد نهى عباده أن يحملهم بغضهم لأعدائه أن لا يعدلوا عليهم مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله، فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحمله بغضه لطائفة منتسبة إلى الرسول تصيب وتخطئ على أن لا يعدل فيهم)[1].

وقال رحمه الله أيضًا: (لا يحملك بغض منازعيك وخصومك على جحد دينهم، وتقبيح محاسنهم، وترك العدل فيهم، فإن الله لا يعتد بتعب من هذا شأنه، ولا يجدي علمه نفعًا أحوج ما يكون إليه، والله يحب المقسطين ولا يحب الظالمين)[2].

إنه ليس من تمام العدل أيها الداعية المبارك أنك إذا رأيت من أخيك زلة نشرتها، أو سَقْطة فرحت بها، بينما ترى المحاسن منه تَتْرى، فلا تذكرها بل تكتمها وتسترها، وأنت تعلم أن ذلك ليس من دين الله عز وجل، وأنت تعلم أن دين الله تعالى قائم على العدل، بل أمره وشرعه كله عدل، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه.

فيجب عليك اقتفاء طريق أهل العلم والإيمان في تحقيق معنى العدل، فإن (أهل العلم والإيمان مستقر في فطرهم ثابت في قلوبهم، يشهدون انحراف المنحرفين في الطرفين، وهم لا إلى هؤلاء ولا إلى

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/١٦٥).
(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٢/٤٧٨).

هؤلاء، بل هم إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله متحيزون وإلىٰ محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أنَّىٰ توجهت ركائبه، ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه، لا تستفزهم بدوات آراء المختلفين ولا تزلزلهم شبهات المبطلين. فهم الحكام علىٰ أرباب المقالات، والمميزون لِمَا فيها من الحق والشبهات، يَرُّدون علىٰ كل قائلٍ باطِلَه، ويوافقونه فيما معه في الحق، فهم في الحق سِلْمُه وفي الباطل حَرْبُه، لا يميلون مع طائفة علىٰ طائفة، ولا يجحدون حقها لما قالته من باطل سواه، بل هم ممتثلون قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

فإذا كان قد نهىٰ عباده أن يحملهم بُغضهم لأعدائه أن لا يعدلوا عليهم، مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله، فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحمله بغضه لطائفة منتسبة إلىٰ الرسول تُصيب وتُخطئ علىٰ أن لا يعدل فيهم، بل يُجرد لهم العداوة وأنواع الأذىٰ، ولعله لا يدري أنهم أولىٰ بالله ورسوله)[1].

## ❁ من صفات أئمة السُّنَّة والجماعة العلم والعدل والرحمة:

إن علماء الأمة كما أنهم يعلمون الحق يرحمون الخلق، ويعدلون حتىٰ مع من اعتدىٰ عليهم وظلمهم قال ابن تيمية ﷺ: (وأئمة السُّنَّة

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/١٦٥).

والجماعة وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسُّنَّة، سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[(١)].

إن أهل السُّنَّة هم أعدل الطوائف والفِرق، يحكمون بالعدل اتباعًا لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، (فهم حكام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردون حق طائفة من الطوائف، **ولا يقابلون بدعة ببدعة، ولا يردون باطلًا بباطل**، ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل. والله ﷻ أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف، فقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه، وأن يستقيم في نفسه كما أمره، وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق، وأن يؤمن بالحق جميعه، ولا يؤمن ببعضه دون بعض، وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات)[(٢)].

(١) الرد على البكري، لابن تيمية (٢/٤٩٠).
(٢) شفاء العليل، لابن القيم (ص١١٣).

كما أن الله تعالىٰ (أمره أن يؤمن بكل ما أنزله الله من الكتب ـ وهذه حال المحق أن يؤمن بكل ما جمعه من الحق علىٰ لسان أي طائفة كانت ـ ثم أمره أن يخبرهم بأنه أمر بالعدل بينهم، وهذا يعم العدل في الأقوال والأفعال والآراء والمحاكمات كلها، فنصبه ربه ومرسله للعدل بين الأمم، فهكذا وارثه ينتصب للعدل بين المقالات والآراء والمذاهب)[1].

وإليك أيها السني هذا الخلق العظيم، لرجل يُعد مفخرة أهل السُّنَّة والجماعة علمًا وعملًا وخلقًا، إنه شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀، فتأمل في كلامه وهو يذكر عن نفسه قائلًا: (هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدىٰ حدود الله فيَّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، **فأنا لا أتعدىٰ حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل**، وأجعله مؤتمًا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدىٰ للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩])[2].

فيا دعاة الإسلام ويا حملة لواء الدعوة، أين أنتم من أخلاق علماء السُّنَّة وأعلام المِلَّة؟! تلك هي أخلاقهم، وذلك هو إنصافهم مع خصومهم، فكيف بكم مع إخوانكم؟!

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٢/٤٤١).
(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٣/٢٤٥).

إن بعض الدعاة إذا وقع عليه ظلم من أخيه، تجاوز حدود الله في رد الظلم؛ بل قد يصل به الحال إلىٰ أنْ يفجر معه في الخصومة ويكيل له بمكيالين؛ ليجعل من الظلم والخطأ مسوغًا له بالاعتداء عليه، وطلب الانتقام منه، باستخدام كل وسيلة سنحت له!

## ۞ الإنصاف:

قال المناوي رحمه الله: (الإنصاف والعدل توأمان، نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة، باكتساب الفضائل وتجنب الرذائل)[1].

وتَحـلَّ بالإنْصَـافِ أفْخَـرَ حُلَّـةٍ  زِينَـتْ بهَـا الأعطـافُ والكَتِفَـانِ

ما أحوجنا إلىٰ هذه الحُلة الجميلة، والخلة النبيلة، لكن لمَّا افتقدنا الإنصاف حلَّت بنا مشكلات كثيرة، وأمور مدلهمة كبيرة، فإن الإنصاف من أجَلِّ الأخلاق التي يحبها الله ويحبها رسوله ﷺ (بل هو أفضل حلية تحلَّىٰ بها الرجل، خصوصًا من نصَّب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالىٰ لرسوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥] فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف، وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحق مطلوبه، يسير بسيره وينزل بنزوله يدين بدين العدل والإنصاف)[2].

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان:

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي (ص٦٤).
(٢) إعلام الموقعين، لابن القيم (١٢٧/٣).

الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار)[1].

قال ابن القيم معلِّقًا على هذه الكلمات: (وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه، فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وأن لا يطالبهم بما ليس له، ولا يحمِّلهم فوق وسعهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويعفيهم مما يحب أن يعفوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها)[2].

سـلامٌ على الدنيا إذا لم يكنْ بها صديقٌ صدوقٌ صادقُ الودِ منصفًا

كم نحن بحاجة في هذا الزمن لهذه الخلة الحميدة والخصلة الجليلة؟! ولنا أن نتساءل أين دعاتنا عن هذا الخلق الكريم؟! ألم يعلموا أنه إذا كان الإنصاف زينة العلم وعنوان الإخلاص والفلاح؛ فإن قلَّة الإنصاف نذير شؤم تزيد من هوة الخلاف، وخصلة ذميمة تأخذ بيد صاحبها إلى هوة سحيقة فتقوده إلى الظلم والاعتساف.

ولـم تـزَلْ قلـةُ الإنصـافِ قاطعـةً بين الرجالِ وإن كانوا ذوي رحِم

## ❁ من الإنصاف: أن يُفسر كلام المتكلم بعضه ببعض:

من الإنصاف والعدل أنَّ من عُرف بسلامة ظاهره وحسن منهجه، فلا ينبغي أن يُستعجل بحمل كلامه الذي يظن أنه زلَّ به على غير مراده، فإنه من الظلم، قال ابن تيمية رحمه الله: **(ليس لأحد أن يحمل كلام أحد من الناس**

(١) ذكره البخاري معلقًا (١/٧٧)، ووصله عبد الرزاق (١٩٤٣٩).
(٢) زاد المعاد، لابن القيم (٢/٤٠٧).

**إلا على ما عرف أنه أراده، لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد)**[1].

والواجب عليك (أيها المنصف إذا سمعت الطعن في رجل أن تبحث عن خلطائه، والذين عنهم أخذ ما ينتحل، وعن مرباه وسبيله، ثم تنظر كلام أهل بلده وعشيرته، من معاصريه العارفين به، بعد البحث عن الصديق منهم له، والعدو الخالي عن الميل إلى إحدى الجهتين، وذلك قليل في المتعاصرين المجتمعين في بلد)[2].

آخِ الكـــرام المُنصـــفين وصِـــلهمُ  واقطـع مـودة كـل مـن لا يُنصـفُ

فمن الإنصاف أن (يُفسَّر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويُؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، وتعرف المعاني التي عُرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عُرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا مما يُستعان به على معرفة مراده)[3].

فإياك أيها المنصف ثم (إياك أن تهمل قصد المتكلم ونيته وعُرْفه، فتجني عليه وعلى الشريعة، وتنسب إليها ما هي بريئة منه)[4].

ومما يُكدر الخاطر أن بعض طلبة العلم إذا سمع زلة من أخيه؛ تجده يُسارع بنشرها بين الناس، ولا ينقل عنه الكلام السابق أو اللاحق ليتبين

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦/٧).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (١٦١/٤).
(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٤٤/٤).
(٤) إعلام الموقعين، لابن القيم (٤٨/٣).

مقصوده من الكلام المراد إيصاله للناس، وهذا من الظلم والاعتساف، وليس من خلق العدل والإنصاف، فإن من الواجب عليك أيها المنصف أن تعطي (النظر حقه ناظرًا بعين الإنصاف، ولا تكن ممن ينظر في مقالة أصحابه، ومن يحسن ظنه به نظرًا تامًا بكل قلبه، ثم ينظر في مقالة خصومه، وممن يسيء ظنه به كنظر الشزر والملاحظة، فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ، والناظر بعين المحبة عكسه، وما سَلِمَ من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق)[1].

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/١٤١).

## خامسًا: قبول الحق ممن جاء به

إن من الواجب على المسلم عمومًا والداعية خصوصًا، أن يقبل الحق ممن جاء به أيًا كان وعدم ردِّه؛ لأن الحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذ به، وسواء كان الذي جاء بالحق ممن يحبه أو ممن يبغضه؛ فالواجب عليه قبوله، والاعتراف بأنه هو الحق؛ فالمؤمن الصادق هو الذي يقبل بالصدق ممن جاء به ولا يردُّه مهما كان ناقله، فلقد (ذمَّ الله تعالى من يردُّ الحق إذا جاء به من يُبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه، فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية)[1].

بل (الواجب، أن يردَّ ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يردُّ الحق لأجل قوله، ولو كان كافرًا)[2]، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (وأنت إذا تدبرت هذا وعلمت أن كل واحد من الكذب على الله والتكذيب بالصدق مذموم، وأن المدح لا يستحقه إلا من كان آتيًا بالصدق مصدقًا للصدق، علمت أن هذا مما هدى الله به عباده إلى صراطه المستقيم.

وقال: إذا تأملت هذا تبين لك أنَّ كثيرًا من الشر أو أكثره يقع من أحد هذين، فتجد إحدى الطائفتين أو الرجلين من الناس لا يكذب فيما يخبر

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٥٢٢).
(٢) تفسير السعدي، سورة العنكبوت الآية (٤٦) (ص٦٣٢).

به من العلم، لكن لا يقبل ما تأتي به الطائفة الأخرىٰ، فربما جمع بين الكذب علىٰ الله والتكذيب بالصدق)[1].

اعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَنْظُر إِلَىٰ عَمَلِي  يَنْفَعْكَ عِلْمِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيْرِي

إن عواقب ردِّ الحق والاستهانة به قد يكون عرضة لتقليب القلب، فلا يستطيع بعده قبول الحق، (فحذارِ حذارِ من أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: ردُّ الحق لمخالفته هواك، فإنك تُعاقب بتقليب القلب، وردُّ ما يرد عليك من الحق رأسًا، ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فعاقبهم علىٰ ردِّ الحق أول مرة بأن قلَب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

والثاني: التهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إنْ تهاونت به ثبطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك قال تعالىٰ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣] فمن سَلِمَ من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فليهنه السلامة)[2].

إن من أعظم صفات المخلصين، وأجَلِّ أخلاق المهتدين، قبول الحق والأخذ به، ولو جاء مِنْ طريق مَنْ يُبْغضون، فإن هذه الصفة لا ينالها

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (١٩٢/٧).
(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٦٩٩/٣).

إلا الكُمَّل من أهل الديانة ؛ لأن (القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ، ويؤثره على غيره ، فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ، ولا تمييز بين الحق والباطل ، ولا إرادة للحق وكراهة للباطل)[١] .

(فمَنْ هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان مع مَنْ كان ، ولو كان مع مَنْ يُبْغضه ويعاديه ، وردِّ الباطل مع من كان ولو كان مع من يُحْبه ويُواليه ، فهو ممن هُدي لِمَا اُخْتلف فيه من الحق ، فهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلًا وأقومهم قيلًا)[٢] .

فـالحقُّ مقبـولٌ ولـو مِـنْ جاهـلٍ  فـاظفرْ بـذاتِ القـولِ لا بالقائـلِ

فاحذرْ أيها العبد كل الحذر من التكبر عن قبول الحق ، وعليك بالتواضع وقبوله ممن جاء به ، فإن حقيقة التواضع ، أنه إذا جاءك الحق من عدوك قبلته منه ، وإذا كان له عليك حق أديته إليه ، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه ولا من إيتائه إياه ، واعلم أنه (لا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحقَّ ممن تحب وممن تبغض ، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك)[٣] .

فما بال أقوام من الدعاة إذا جاءهم الحقُ ممن يبغضونه ردُّوه جملة وتفصيلًا ؛ لكون القائل به من الحزب الفلاني أو الجماعة الفلانية ، والعجب أن البعض ممن غشيته ظلة العصبية ، إذا قرأ أو سمع كلامًا فأعجبه

(١) شفاء العليل ، لابن القيم (ص١٠٤) .
(٢) الصواعق المرسلة ، لابن القيم (٢/٥١٦) .
(٣) مدارج السالكين ، لابن القيم (٣/٥٢٢) .

أثنىٰ عليه ، فإذا أُخبر أنَّ قائله ممن ليس من حزبه أو ممن يُبغضه ردَّه ، بل منع من الاستشهاد به!!

أيها الأخ المبارك: ليكن منهجك كما قال بعض الصحابة ﷺ: اقبل الحق ممن قاله وإنْ كان بغيضًا ، وردَّ الباطل علىٰ من قاله وإنْ كان حبيبًا . (فلهذا كان أئمة السلف المجمع علىٰ علمهم وفضلهم ، يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإنْ كان صغيرًا ، **ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم**)[1] .

لا تحقِـرنَّ الـرأيَ وهـو موافـقٌ حُكـمَ الصـوابِ إذا أتَىٰ من ناقصِ
فالـدُّرُ وهـو أجـلُّ شَـيءٍ يُقْتَنَـىٰ مـا حَـطَّ قيمتَـهُ هـوانُ الغـائصِ

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ، لابن رجب (ص٨) .

## سادسًا: الحوار والمناقشة بالرفق للوصول إلى الحق

قديمًا قيل: (المجالسة للمناصحة فَتْحُ باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غَلْقُ باب الفائدة)[1].

فينبغي على المتنازعين من طلبة العلم والدعاة أن يحرصوا على الاجتماع؛ لكي يتحاوروا للوصول إلى الحق ومعرفة الصواب، وليحذروا كل الحذر من أن يتدابروا فتنزوي كل مجموعة منهم عن الأخرى؛ فتزداد بينهم الفجوة لتحدث بعدها الفُرْقة والجفوة، وليعلموا أنه (إذا كان كل طائفة منهم مُنزوية عن الأخرى منحرفة عنها، انقطعت الفائدة وحلَّ محلها ضدها من حصول البغضاء والتعصب والتفتيش من كل منهما عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها، والتوسل به للقدح، وكل هذا منافٍ للدين والعقل، ولِمَا عليه السلف الصالح)[2].

ذلك أن الغاية من الاجتماع للمناظرة هو الوصول للحق، فينبغي عند التنازع أن تكون النصيحة هي الأصل (وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع

(١) الإبانة، لابن بطة (٢/٥٤٨).
(٢) الفتاوى السعدية (ص٦٣٣).

بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدِّين)[1].

(فقوله تعالىٰ: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدِّين دقِّه وجلِّه، جليِّه وخفيِّه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيانُ حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيًا لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالىٰ بالرد عند النزاع إلىٰ من لا يوجد عنده فصل النزاع)[2].

إن مما لا شك فيه أن المنتسبين لأهل السُّنَّة من دعاة وطلبة العلم، هم (أحوج الناس إلىٰ التواصل والتعاون خصوصًا في العصر الذي تفشىٰ فيه وباء الإلحاد، وقلَّت الرغبة في العلوم الدينية، بل كادت تعُم النفرة عنها، واستغنىٰ كل أحد برأيه)[3].

فالمقصود أن من أعظم أسباب إزالة الفرقة بين دعاة أهل السُّنَّة التواصل، وذلك عن طريق المحاورة والمناقشة والمجالسة؛ للتباحث حول نقاط الخلاف بينهم؛ من أجل إيجاد مخرج لهذا الواقع المرير.

## ❁ الغاية من الحوار والمناقشة:

إن المقصود الأعظم من هذا الحوار، هو المناصحة للوصول إلىٰ الحق والحقيقة، وإرشاد من وقع في الزلل والخطأ من إخوانهم إلىٰ

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٧٢/٢٤).
(٢) إعلام الموقعين، لابن القيم (٤٩/١).
(٣) مجموع آثار المعلمي (٤٢٢/١٥).

الصواب، وبيان الخطأ لهم، ومجالستهم ومناقشتهم؛ لأجل المناصحة على أخطائهم أيًا كان الخطأ الصادر منهم سواء (أخطأوا في شيء عَمَلي أو عَقَدي.

إذ الذي ينبغي عليك أن تجتمع بهم وتناقشهم وتبيِّن لهم الخطأ، لكن ثق بأنهم إذا سمعوا ـ مثلًا ـ أن الآخرين يقدحون فيهم أو يحذِّرون منهم، فسيزداد تمسكهم بما هم عليه، حتى وإنْ كان باطلًا، فهذه طبيعة النفس البشرية. ولكن لو أننا قلنا: يا جماعة كلنا إخوان مسلمون، كلنا نريد الوصول إلى شريعة الله، فلنكن عليها سواء، فإذا كان الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤] فكيف بإخواننا المسلمين ؟!)[(١)].

إن **(علاج ما تظنه خطأً أن تتصل بمن رأيت أنه أخطأ، وأن تناقشه، ويتبين الموقف بعد المناقشة. فكم من إنسان بعد المناقشة يرجع عن قوله إلى ما يكون قوله هو الصواب، وظننا هو الخطأ)**[(٢)].

إنَّ من الواجب على الحكماء في تلك الجماعات وقادة الشباب الكبار، أن يجلسوا كما يقال: على طاولة الحوار، ولا يتركوا الأهواء وحظوظ الأنفس تزيد من هوة الخلاف والنزاع بينهم.

قال ابن عثيمين ﷺ: (الواجب أن يجتمع رؤساء هذه الفِرَق، ويقولون: بيننا كتاب الله ﷻ وسنة رسوله، فلنتحاكم إليهما لا إلى الأهواء

(١) لقاء الباب المفتوح، لابن عثيمين (٤٥) (ص ١٠٠).
(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٦/٩٢).

والآراء، ولا إلى فلان أو فلان، فكلٌّ يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة، ولكن العصمة في دين الإسلام)[١].

وقال ﷾: (الحل: يجتمع رؤساء القوم وأعيانهم من كل طائفة، للنظر والبحث في مسائل الاختلاف بيننا، حتى نكون متحدين ومؤتلفين)[٢].

وأشار في تنبيه رائع لقيادات الشباب، مما يدل على فهمه ﷾ لواقع الدعوة والدعاة، وضع من خلالها النقاط على الحروف واختصر بها طريق الخلاف حيث قال: (ومن المستحسن أن يتدارس هؤلاء الزعماء زعماء الشباب، أن يتدارسوا فيما بينهم شؤون المسلمين، وكيف يمكن الوصول إلى الإصلاح؟ وبأي طريق، وهل نبدأ من القمة؟ أو نبدأ من الأسفل؟!

وهل نصرِّح أو نلمِّح؟ وهل نجالس أو نكون من وراء الستار؟ كل هذه المسائل يجب أن تُدرس، وأن يُعرف كيف نتوصل إلى إقامة الحق)[٣].

## ۞ مراعاة آداب الحوار:

لا بد عند المحاجَّة والمجادلة أن يلتزم الجميع بآدابها حتى لا يُستجلب بها الضرر أو يُستدعى بها الشرر، فإن (المطلوب منها أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق، ويقيم الحجة على المعاند، ويوضح الحق، ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور كانت

(١) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص٢٨٢).
(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٧/٣٢٦)
(٣) شريط (قوة الشباب، وحكمة الشيوخ)، لابن عثيمين.

مماراة ومخاصمة لا خير فيها، وأحدثت من الشر ما أحدثت)[1].

إن على المتناقشين والمتحاورين مراعاة آداب الحوار؛ للوصول إلى الحق، وحتى تكون سببًا في إزالة الخلاف أو التقليل من حدته، ونظرًا لأهمية هذه الآداب سأسرد أهم النقاط التي لا بد للمتحاورين من مراعاتها، وهي:

١ ـ من المهم أن يُحسن كل من الطرفين النية بالطرف الآخر، فإنه إذا أُحسنت النية سهل العلاج، أما إذا لم يُحسنا النية فسيكون التوفيق بعيدًا عنهما.

٢ ـ من المهم جدًا قبل المجالسة والمحاورة بين الرؤساء والحكماء، أن تكون بِمَعْزِلٍ عن مغاليق الخير مفاتيح الشر صغار العقول؛ ليحصل المقصود وتثمر المناقشة. قال ابن عثيمين رحمه الله: (ولا بأس من النقاش المفيد الهادئ بين الإخوة، وأُفضِّل أن يكون النقاش بين المختلفين في غير حضور الآخرين؛ لأن الآخرين قد يحملون في نفوسهم من هذا النقاش ما لا يحمله المتناقشان، فربما يؤول الأمر بينهما إلى الاتفاق، لكن الآخرين الذين حضروا مثلًا قد يكون في قلوبهم شيء يحمل حتى بعد اتفاق هؤلاء، فيجري الشيطان بينهم بالعداوة، وحينئذٍ نبقى في بلائنا)[2].

٣ ـ أن يُقصد بذلك الحوار وتلك المناقشة وجه الله تعالى، وأداء واجب النصيحة؛ فلا بد أن تكون تلك المجالسة والمناصحة (على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص مع الإنسان، مثل أن يكون

(١) تفسير السعدي سورة البقرة آية (ص٦٩).
(٢) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٥/١٧٨).

بينهما عداوة دنيوية أو تحاسد أو تباغض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساوئه مظهرًا للنصح وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان و«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[(١)] بل يكون الناصح قصده أن الله يصلح ذلك الشخص، وأن يكفي المسلمين ضرره في دينهم ودنياهم، ويسلك في هذا المقصود أيسر الطرق التي تُمْكِنُه)[(٢)].

٤ ـ أن يُقصد بالمناظرة الوصول للحق لا أن تكون لقصد المغالبة والانتصار للنفس أو الجماعة، وتأمل فيما قال الإمام ابن بطة ﷺ: (كان الإمام الشافعي يحلف وهو يقول: (ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدًا ما فأحببت أن يخطئ) أفهكذا أنت ـ يا أخي ـ بالله عليك؟ إن ادَّعيت ذلك، فقد زعمت أنك خير من الأخيار، وبدل من الأبدال، والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يناظرون مغالبة لا مناظرة، ومكايدة لا مناصحة، ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كثر وانتشر في كثير من البلدان، فمما يظهر من قبيح أفعالهم وما يبلغ بهم حب الغلبة، ونصرة الخطأ أن تحمرَّ وجوههم، وَتَدُرَّ عروقهم، وتنتفخ أوداجهم، ويسيل لعابهم، ويزحف بعضهم إلى بعض، حتى ربما لعن بعضهم بعضًا، وربما بزق بعضهم على بعض، وربما مد أحدهم يده إلى لحية صاحبه، ولقد شهدت حلقة بعض المتصدرين في جامع المنصور، فتناظر أهل مجلسه بحضرته، فأخرجهم غيظ المناظرة وحمية المخالفة إلى أن قذف بعضهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/٦) رقم (١)، وأخرجه مسلم (٦/٤٨) رقم (١٩٠٧).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/٢٢١).

زوجة صاحبه ووالدته ، فحسبك بهذه الحال بشاعة وشناعة على سفه الناس وجهالهم ، فكيف بمن تسمَّى بالعلم ، وترشَّح للإمامة والفتيا ، ولقد رأيت الْمُنَاظِرِينَ في قديم الزمان وحديثه ، فما رأيت ولا حُدِّثْتُ ، ولا بلغني أن مختلفين تناظرا في شيء ففلجت حجة أحدهما وظهر صوابه ، وأخطأ الآخر وظهر خطؤه ، فرجع المخطئ عن خطئه ، ولا صَبَا إلى صواب صاحبه ، ولا افترقا إلا على الاختلاف والمباينة ، وكل واحد منهما متمسك بما كان عليه ، ولربما علم أنه على الخطأ ، فاجتهد في نصرته ، وهذه أخلاق كلها تخالف الكتاب والسُّنَّة ، وما كان عليه السلف الصالح من علماء الأمة)[1] .

٥ ـ أن يُقصد من هذه المحاجَّة والمناقشة إنقاذ من ضل عن معرفة الصواب ، وليس المقصود الأعظم منها فقط (مجرد إقامة الحجة والخروج من عُهدة السكوت ، بل القصد مع ذلك إنقاذ هؤلاء المساكين من تخبطات الشياطين)[2] .

٦ ـ يجب على المتحاورين الحذر ثم (الحذر من التعصب للأقوال والقائلين ، وهو أن يجعل القصد من المناظرة والمباحثة نصر القول الذي قاله أو قاله من يُعَظِّمه ، فإن التعصب مُذهِبٌ للإخلاص ، مُزيل لبهجة العلم ، مُعمٍ للحقائق ، فاتح باب الحقد والخصام الضار)[3] .

٧ ـ ينبغي على المتناقشين (تحري الأسلوب الحسن والرفق في

(١) الإبانة الكبرى ، لابن بطة (٢/٥٤٨) .
(٢) آثار العلَّامة المعلمي (٦/١٨٢) .
(٣) الفتاوى السعدية (ص٦٢٩) .

الدعوة في مسائل الخلاف عند المناظرة والمذاكرة في ذلك، وأن لا تحمله الغيرة والحِدَّة على أن يقول ما لا ينبغي أن يقول؛ مما يسبب الفرقة والاختلاف والتباغض والتباعد)[1].

٨ ـ أن يتحمل كلٌ من المتحاورين صاحبه، فينبغي عليك أيها المحاور أن لا تضجر ابتداءً من المخالفة، وأن يتسع صدرك لمخالفته.

قال ابن عثيمين ﷺ: (إذا خالفك شخصٌ في الرَّأي في آية أو حديث مما يسوغ فيه الاجتهاد؛ فالواجبُ عليك أنْ تتحمَّلَ هذا الخلاف، بل أنا أرى أنَّ الرَّجُل إذا خالفكَ بمقتضى الدليلِ عنده لا بمقتضى العنادِ أنَّه ينبغي أن تزداد محبَّةً له؛ لأنَّ الذي يخالفُكَ بمقتضى الدَّليلِ لم يصانعْك ولم يحابِك، بل صار صريحًا مثلما أنك صريحٌ)[2].

٩ ـ الحذر من الإلزام بلوازم الأقوال، أو محاولة تنزيل النقول على غير مرادها؛ من أجل أن تكون حجة لإدانة الطرف الآخر.

١٠ ـ الحرص على عدم الدخول في النيَّات، فإن ذلك مما يُفسد المناقشة والمحاورة بينهم، فليست هذه طريقة أهل العلم والإيمان، الذين يبحثون في الكلام الظاهر دون ما خفي في السرائر.

قال العلَّامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ﷺ: (أهل العلم يبحثون مع المتكلم، ويَحْكُمون بما دلَّ عليه كلامه من النص

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٧/٣٢٤).
(٢) الشرح الممتع، لابن عثيمين (٤/٢٢٤).

والعموم الظاهر، ولا بحث فيما انطوت عليه الضمائر، وأخفته السرائر؛ بل ذلك أمره إلىٰ الله، كما يعرفه ذوو العلم والبصائر)[1].

١١ ـ الحذر كل الحذر من السخرية أو التجاهل علىٰ أحد أثناء المناظرة مهما كان شأنه، واحتقاره لنسبه أو عمره أو مذهبه ونحو ذلك، فإن القلوب السليمة ترتفع عن مثل هذه التُرهات والجهالات. قال ﷺ: «بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[2].

جاء عن حاتم الأصم رحمه الله أنه لمَّا دخل بغداد (اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن أنت رجل عَجَمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنىٰ، فقال حاتم: معي ثلاث خصال بها أظهر علىٰ خصمي، قالوا: أي شيء هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن له إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه، فبلغ ذلك أحمد بن محمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله من رجل)[3].

(١) إتمام المنة والنعمة في ذم اختلاف الأمة، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص٢٩).
(٢) صحيح مسلم (٨/١٠) رقم (٦٧٠٦).
(٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٣/٤٧٦).

## سابعًا: استعمال الحكمة ومراعاة المصالح

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]

إن النظر في العواقب والمصالح والمفاسد، يُعد من أكبر القواعد الشرعية والمصالح المرعية في ديننا الحنيف؛ ذلك أن هذا الدِّين العظيم قائم علىٰ جلب المصالح وتكثيرها، وعلىٰ دَرْءِ المفاسد وتقليلها (والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسُّنَّة، كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسُّنَّة، فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة، والتي يُراد إيقاعها في الكتاب والسُّنَّة؛ ليُقَدِّم ما هو أكثر خيرًا وأقل شرًا علىٰ ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإن من لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الدِّين لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يُفسد أكثر مما يصلح)[(١)].

ولذلك ينبغي أن يُعلم أن من أهم أسباب علاج الاختلاف بين الدعاة في هذا العصر هو: تربية الشباب علىٰ فقه التعامل مع المخالف، والدعوة إلىٰ الله بالحكمة وبالتي هي أحسن، من غير وكس ولا شطط، فإنها والله من أكبر الأسباب لجمع القلوب، وفتح مغاليق أبوابها، كما أنها من أهم أسباب انتشار الدعوة السلفية.

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (٢/٣٠٥).

وإن من الحكمة: ترك النيل ممن أخطأ من أهل العلم والدعاة أمام محبيهم وأتباعهم؛ مما قد يسبب النفرة عن قبول الحق، وإنما الحكمة والصواب أن يقتصر الناصح على بيان الخطأ بالأدلة، وأن يكون الرد منه بحكمة، وأن لا يُظهر الراد الحرص على إسقاط المردود عليه من أعين محبيه أو التعرض لشخصه، ولكن يبدي الشفقة عليه وإرادة النصح له؛ ليرجع عن الخطأ.

والداعية حينما يتصرف بتلك الحكمة، وبذلك النصح يقتدي بحبيبه ﷺ، فمن قرأ سيرته في معاملته المخطئين بالحكمة، وتأمل حكمته مع المنافقين، رأى عجبًا من كمال أخلاقه، وكريم خصاله، فقد كان النبي ﷺ يترك (مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات؛ لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتباتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم، وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لِمَا في ذلك من التأنيس والتأليف)[1]. فما أحوجنا إلى هذه السياسة النبوية، وما أحوجنا إلى دعاة يأخذون بتلك الحكمة المحمدية.

يجب أن نُدرك أنه ليس من الحكمة أن يقوم بعض دعاة السُّنَّة من خلال وسائل التواصل الحديثة ـ تويتر أو الفيسبوك أو الصحف أو الشاشات المرئية ـ بالشتم والتحذير من بعضهم البعض، فكم تسببت هذه الطريقة النكراء في صد العامة عن الاستقامة أو التشكيك في منهج السلف، وأغلب أولئك الدعاة لا يعلمون حقيقة تلك المفاسد، ولا يشعرون أن ذلك ربما أفقدهم صدق ما يحملونه، وقبول مايقولونه.

(١) فتح الباري، لابن حجر (٨/٥١٤).

وإليك هذه الحكاية التي ساقها العلامة السعدي ﷺ عن أحد العقلاء، فكم أعجبني ذلك المسلك وتلك الحكمة التي سلكها هذا الرجل الحكيم، مع من اغتاب أخاه في الدِّين، فينبغي علىٰ كل ذي بصيرة في دينه، أن يحتذي حذو هذا الرجل الحكيم.

قال ﷺ: (وقع رجلٌ في رجلٍ من أهل الدِّين، وجعل يعيبه ويعيِّن بعض ما يعيبه به، فقال بعض الحاضرين له: أريد أن أسألك، هل أنت متيقن ما عبته فيه؟ ومن أي طريق أُخبرت به؟ ثم إذا كان الأمر الذي ذكرته يقينًا؛ فهل يحل لك أن تعيبه أم لا؟

أما الأول: فإني أعرف أنك لم تجالس الرجل، وربما أنك لم تجتمع به، وإنما بنيت كلامك علىٰ ما يقوله بعض الناس عنه، وهذا معلوم أنه لا يحل لك أن تبني علىٰ كلام الناس، وقد علم منهم الصادق والكاذب والمخبر عمَّا رأىٰ والمخبر عمَّا سمع، والكاذب الذي يخلق ما يقول؛ فاتضح أنه علىٰ كل هذه التقادير لا يحل لك القدح فيه. ثم ننتقل معك إلىٰ المقام الثاني: وهو أنك متيقن أن فيه العيب الذي ذكرته، وقد وصل إليك بطريق يقيني؛ فهل تكلمت معه ونصحته ونظرت هل له عذر أم لا؟ وهل يقبل النصيحة أم لا؟ فقال: لم أتكلم معه في هذا بالكلية.

فقال له: هذا لا يحل لك، إنما يجب عليك إذا علمت من أخيك معيبًا أن تنصحه بكل ما تقدر عليه قبل كل شيء، ثم إذا نصحته وأصرَّ علىٰ العناد؛ فانظر هل في عيبك له عند الناس مصلحة وردع، أم في ذلك خلاف ذلك؟ وعلىٰ الأحوال كلها، فأنت أظهرت في عيبك هذا له الغيرة علىٰ

الدِّين وإنكار المنكر، وأنت في الحقيقة الذي فعل المنكر، ما أكثر من يجري منه مثل هذه الأمور الضارة التي يحمل عليها ضعف البصيرة وقلة الورع)[1].

هذا هو الواجب على المسلم تجاه أخيه المسلم أن يعذره، وأن يلتمس له العذر، ويقوم بواجب النصيحة، لكن للأسف لم يحدث ذلك كله إنما (الذي حدث بعد ذلك، أن ترك المسلمون هذه الواجبات، فراغ بعضهم على بعض، وعاثت بينهم الفتن، ثم خلفت خلوف، ضيَّعت الأوقات في التهويش والتحريش، في العلن تارة، وفي السر تارات، بالغيبة والنميمة، والمعارك الكلامية، والاتهامات الرخيصة، التي لا صحيح فيها إلا أنها غير صحيحة، فأدَّت بهم إلى بَطَرِ الحق، وغَمْطِ الناس.

لقد شارك أولئك أعداءهم، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ويزداد الأمر علة، والطين بلة، إذا وقعت تلك المآسي ممن يُنسب إلى العلم والدعوة على حين غفلة عن قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٣])[2].

فوالله ما انتشرت الدعوة في هذا الزمن وفي غيره إلا على أيدي علماء حكماء حلماء، يسلكون منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله بالحكمة والخلق الحسن والبصيرة والعلم، فنفع الله بهم النفع العميم، وأما واقعنا

(١) مجموع الفوائد، للسعدي (ص٤٤).

(٢) وميض من الحرم، للشيخ الدكتور سعود الشريم (ص١٤٢).

اليوم فتجد الدعاة المتنازعين قد تركوا منهج الرسول ﷺ في حكمته وحلمه ورحمته وأخلاقه ورفقه ولينه، وابتعدوا عن نهج العلماء المصلحين الذين ظهرت آثار حكمتهم في دعوتهم إلىٰ الله، فآتت ثمارها يانعة.

قال شيخنا المربي صالح آل الشيخ حفظه الله وسدده: (إذا كانت المسألة متعلقة بالعقائد، أو كانت المسألة متعلقة بعالم من أهل العلم في الفتوىٰ في شأنه بأمر من الأمور، فإنه هنا يجب النظر فيما يؤول إليه الأمر من المصالح ودفع المفاسد، لهذا ترىٰ أئمة الدعوة ﷺ من وقت الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أحد الأئمة المشهورين إلىٰ وقت الشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ إذا كان الأمر متعلقًا بإمام أو بعالم أو بمن له أثر في السُّنَّة، فإنهم يتورعون ويبتعدون عن الدخول في ذلك.

مثاله: الشيخ الصديق حسن خان القنوجي الهندي المعروف عند علمائنا له شأن، ويقدرون كتابه الدِّين الخالص مع أنه نقد الدعوة في أكثر من كتاب له؛ لكن يغضون النظر عن ذلك، ولا يُصعدون هذا لأجل الانتفاع بأصل الشيء، وهو تحقيق التوحيد ودرْء الشرك.

المثال الثاني: الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف ـ صاحب كتاب سبل السلام وغيره ـ له كتاب: (تطهير الاعتقاد)، وله جهود كبيرة في ردِّ الناس للسُّنَّة والبعد عن التقليد المذموم والتعصب وعن البدع؛ لكنه زلَّ في بعض المسائل....

والشوكاني ﷺ مقامه أيضًا معروف، الشوكاني له اجتهاد خاطئ في التوسل، وله اجتهاد خاطئ في الصفات وتفسيره في بعض الآيات فيه

تأويل، وله و.. و...، لكن العلماء لا يذكرون ذلك.

وألَّف الشيخ سليمان بن سحمان كتابه (تبرئة الشيخين الإمامين) يعني بهما: الإمام الصنعاني والإمام الشوكاني، لماذا فعلوا ذلك؟

لأن الأصل الذي يبني عليه هؤلاء العلماء هو السُّنَّة، فهؤلاء ما خالفونا في أصل الاعتقاد، ولا خالفونا في التوحيد، ولا خالفونا في نصرة السُّنَّة، ولا خالفونا في ردِّ البدع، وإنما اجتهدوا فأخطؤوا في مسائل، والعالم لا يتبع بزلته كما أنه لا يتبع في زلته؛ هذه تترك ويسكت عنها، وينشر الحق، وينشر من كلامه ما يؤيد به.

وعلماء السُّنَّة لما زلَّ ابن خزيمة ﷺ في مسألة الصورة كما هو معلوم، ونفىٰ إثبات الصورة لله ﷻ، ردَّ عليه ابن تيمية رحمه بأكثر من مائة صفحة، ومع ذلك علماء السُّنَّة يقولون عن ابن خزيمة: إنه إمام الأئمة، ولا يرضون أن أحدًا يطعن في ابن خزيمة؛ لأجل أن له كتاب التوحيد، الذي ملأه بالدفاع عن توحيد الله رب العالمين، وإثبات أنواع الكمالات له ﷻ بأسمائه ونعوت جلاله ﷻ وتقدست أسماؤه.

أصل الدِّين، موافقته للسُّنَّة، نصرته للتوحيد، نشر العلم النافع، ودعوته للهدىٰ، ونحو ذلك من الأصول، والذهبي رحمه في سير أعلام النبلاء قال: وزلَّ ابن خزيمة في هذه المسألة.

فإذن هنا إذا وقع الزلل في مثل هذه المسائل، فما الموقف منها؟ الموقف أنه ينظر إلىٰ موافقته لنا في الأصول، وينصح فيما أخطأ، وربما

رُدّ عليه؛ لكن لا يقدح فيه قدحًا يُلغيه تمامًا. وعلىٰ هذا كان منهج أئمة الدعوة في هذه المسائل كما هو معروف)[1].

فتأمل ـ يا رعاك الله ـ في فقه العلماء وحكمتهم، وكيفية معالجتهم لأخطاء العلماء، ولتكن علىٰ طريقتهم وفهمهم المبني علىٰ الحكمة القائلة: (الاجتماع الذي فيه نقصٌ كبير، خيرٌ من الافتراق الذي يُظن فيه خيرٌ كثير)[2]. وقديمًا قيل: **كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صفو الفُرقة**.

(١) شريط الفتوىٰ بين مطالب الشرع ومسايرة الأهواء، للشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالىٰ.

(٢) فتاوىٰ ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﷺ (١٢/١٦٩).

## ۞ وقفات مهمة:

قد يختلف بعض طلبة العلم من أهل السُّنَّة في طريقة علاج أخطاء المخالفين، وفي كيفية التعامل واستعمال الحكمة معهم؛ فالبعض يريد هجره والإغلاظ عليه، والبعض يرىٰ أن حسن معاملته والتودد إليه أفضل، من أجل ترغيبه أو كف شره.

وهكذا يبقىٰ الخلاف مستمرًا بينهم، هذا يرىٰ الإغلاظ عليهم وهجرهم هو منهج السلف، وهذا يرىٰ حسن المعاملة هو منهج السلف؛ فيحدث التفرق بسبب ذلك، فيزداد سوء الظن بينهم في أمر هو في الحقيقة أمر اجتهادي.

إن مما ينبغي علىٰ طلبة العلم أن ينتبهوا له في مثل هذه المسائل المهمة أمور:

* **أولًا:** ينبغي علىٰ طلبة العلم والدعاة أن يتفطنوا إلىٰ أن اختلاف النقول عن السلف في مواقفهم من المخالفين بين الشدة والرفق، يرجع إلىٰ اختلاف أحوال المبتدع وبلوغ الحجة له، وهل هو داعية إلىٰ بدعته أم هو مقلد، ويرجع أيضًا إلىٰ حال البدعة هل هي مفسقة أو مكفرة؟

* **ثانيًا:** كما ينبغي أن يُعلم أن الهجر لا بد فيه من النظر لجهة الهاجر ومكانته، وأيضًا من حيث تمكُّن السُّنَّة وانتشارها، وقوة أهلها؛ كما بيَّن ذلك إمام السُّنَّة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ حينما سُئل عمن: (من يقول القرآن مخلوق؟ قال: أَلحِق به كُلَّ بليَّةٍ. قلت: يُقال له: كفر؟ قال: إي والله، كل شرّ وكلّ بلية بهم. قلت: فنُظهِر العداوة لهم أم نُداريهم؟ قال: أهل

خُراسان لا يَقوونَ بهم. يقول كأن المداراة)[1].

الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلىٰ ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا. وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة علىٰ مصلحته لم يُشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين)[2].

❊ **ثالثًا:** لا بد أن يُعلم أن الهجر ليس هو من باب إقامة الحدود الشرعية الواجب علىٰ الإمام أو وكيله إقامتها، بل هو من باب العقوبات الشرعية التي مرجعها إلىٰ النظر في المصالح والمفاسد، فهو يختلف من وقت لآخر، ومن شخص لآخر، وقد يكون في زمن مشروع وفي غيره غير مشروع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (وإذا عُرف أن هذا هو من باب العقوبات الشرعية، عُلم أنه يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة وكثرتها، وظهور السُّنَّة وخفائها، وأن المشروع قد يكون هو التأليف تارة، والهجران أخرىٰ، كما كان النبي ﷺ يتألف أقوامًا من المشركين ممن هو حديث عهد بالإسلام ومن يخاف عليه الفتنة، فيعطي المؤلفة قلوبهم ما لا

(١) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه (٩/٤٧٦٥).
(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/٢٠٦).

يعطي غيرهم)[1].

فالهجر تبع للمصلحة الشرعية، فهو تعزير واستصلاح، فيُهجر من ينتفع بالهجر، ولا يُهجر من لا ينتفع به.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ أيضًا: (الهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وإثم وفساد، وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا، وليقوىٰ الإيمان والعمل الصالح عند أهله؛ فإن عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه وتحضها علىٰ فعل ضد ظلمه من الإيمان والسُّنَّة ونحو ذلك، فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد، بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها؛ لم تكن هجرة مأمورًا بها)[2].

**ورجَّح سماحة شيخنا ابن باز ﷺ أن النظر إلىٰ المصالح الشرعية في هجر المبتدع هو الأولىٰ**، كما في إجابته عن هذا السؤال:

(السؤال: متىٰ تُشرع مقاطعة المبتدع؟ ومتىٰ يُشرع البغض في الله؟ وهل تشرع المقاطعة في هذا العصر؟

الجواب: المؤمن ينظر في هذه المقامات بنظر الإيمان والشرع والتجرد من الهوىٰ، فإذا كان هجره للمبتدع وبُعْده عنه لا يترتب عليه شر أعظم فإن هجره حق، وأقلُّ أحواله أن يكون سنة، وهكذا هجر من أعلن المعاصي وأظهرها أقلُّ أحواله أنه سنة، أما إنْ كان عدم الهجر أصلح؛ لأنه

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (١/٦٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٨/٢١٢).

يرىٰ أن دعوة هؤلاء المبتدعين وإرشادهم إلىٰ السُّنَّة وتعليمهم ما أوجب الله عليهم يؤثِّر فيهم، ويزيدهم هدىٰ فلا يعجل في الهجر، ولكن يُبغضهم في الله كما يُبغض الكافر والعصاة، لكن يكون بغضه للكفار أشد مع دعوتهم إلىٰ الله سبحانه والحرص علىٰ هدايتهم، عملًا بجميع الأدلة الشرعية؛ ويُبغض المبتدع علىٰ قدر بدعته إنْ كانت غير مكفرة، والعاصي علىٰ قدر معصيته، ويحبه في الله علىٰ قدر إسلامه وإيمانه، وبذلك يعلم أن الهجر فيه تفصيل، وقد قال ابن عبد القوي في نظمه المقنع ما نصه:

هجرانُ مَنْ أبدىٰ المعاصيَ سنة ... وقد قيل إنْ يردعه أوجب وآكد

وقيل علىٰ الإطلاق ما دام معلنًا ... ولاقهْ بوجهٍ مُكفَهرٍ مربد

والخلاصة: **أنَّ الأرجح والأولىٰ النظر إلىٰ المصلحة الشرعية في ذلك)**[1].

وبيَّن شيخنا ﷺ أيضًا أن من رأىٰ (عدم الهجر أصلح، وأن الاختلاط بهم ونصيحتهم أكثر فائدة في الدِّين وأقرب إلىٰ قبولهم الحق، فلا مانع من ترك الهجر؛ لأن المقصود من الهجر هو توجيههم إلىٰ الخير وإشعارهم بعدم الرضا بما هم عليه من المنكر؛ ليرجعوا عن ذلك، فإذا كان الهجر يضر المصلحة الإسلامية ويزيدهم تمسكًا بباطلهم ونفرة من أهل الحق كان تركه أصلح، كما ترك النبي ﷺ هجر عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لمَّا كان ترك هجره أصلح للمسلمين)[2].

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز (٩/٤٢٣).

(٢) المرجع نفسه (٤/٢٦٢).

وسُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: كيف يتعامل الإنسان الملتزم بالسُّنَّة مع صاحب البدعة؟ وهل يجوز هجره؟

فأجاب بقوله: (البدع تنقسم إلى قسمين: بدع مكفرة، وبدع دون ذلك. وفي كلا القسمين يجب علينا نحن أن ندعو هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحق؛ ببيان الحق دون أن نهاجم ما هم عليه إلا بعد أن نعرف منهم الاستكبار عن قبول الحق؛ لأن الله تعالى قال للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فندعو أولًا هؤلاء إلى الحق ببيان الحق وإيضاحه بأدلته، والحق مقبول لدى كل ذي فطرة سليمة، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبيِّن باطلهم، على أن بيان باطلهم في غير مجادلتهم أمر واجب. أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره؛ إن كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه، **وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره**؛ لقول النبي ﷺ: «ولا يَحِلُّ لمُسلمٍ أنْ يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ لَيَالٍ»[(١)] فكل مؤمن وإن كان فاسقًا، فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه؛ لأن الهجر حينئذٍ دواء، أما إذا لم يكن فيه مصلحة، أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو، فإن ما لا مصلحة فيه تركه هو المصلحة)[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٢٠) رقم (٦٠٧٥).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/٢٩٣).

فمما تقدم يتبين أن الأرجح هو النظر في المصلحة الشرعية، وأن مسألة الهجر مسألة اجتهادية، لا ينبغي أن تكون سبيلًا للمفارقة بين أهل السُّنَّة، ولا طريقًا للمنازعة بين دُعاتهم.

فأيها الدعاة لمَ هذه الضجة الكبرىٰ، واتهام النيات وسوء الظن بمن اجتهد في تقدير المصلحة، خاصة بمن رجح مراعاة المصلحة الشرعية بعدم الهجر؟!

إن مما لا شك فيه، ومما لا يختلف عليه اثنان، أن النفوس البشرية والفطر السوية تميل للأخلاق الحسنة من الرفق واللين وحسن المعاملة، وهذا ما جاءت به شريعتنا السمحاء. فعن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»[(١)].

ولم أرَ مثل الرفقِ في لينهِ ... أخرجَ للعذراءِ من خِدْرِهَا
من يستعن بالرفقِ في أمرهِ ... يستخرجُ الحيَّةَ من جُحْرِها

قال ابن عثيمين رحمه الله: (ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلىٰ الحال التي كان عليها الصحابة بين

(١) أخرجه البخاري (٨/٨٥).

عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة..

وقال: إن الحكمة تأبى أن يتغير العالم بين عشية وضحاها، فلا بد من طول النَفَس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحق، وتدرج معه شيئًا فشيئًا حتى تنتشله من الباطل، ولا يكن الناس عندك على حد سواء، فهناك فرق بين الجاهل والمعاند)[1].

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال الإمام القرطبي: (وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طَلْقًا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]. فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل فيَّ حِدَّةٌ فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل! يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى، فكيف بالحنيفي؟!)[2]. أي المسلم.

ولا زال العلماء من أهل السُّنَّة يوصون أتباعهم بأهمية حسن التعامل مع المخالفين بالحكمة والرفق، إما لأجل مصلحة ترغيبهم أو كفِّ شرهم،

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٧/٤٦٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/١٣).

وكلاهما مصلحة عظيمة من مصالح الإسلام، فقد قال الشيخ الألباني رحمه الله: (علينا أن نترفق في دعوتنا المخالفين إليها، وأن نكون مع قوله تبارك وتعالىٰ دائمًا وأبدًا ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وأحق من يكون باستعمالنا معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدئنا وفي عقيدتنا، حتىٰ لا نجمع بين ثقل دعوة الحق، التي امتنَّ الله ﷻ بها علينا، وبين ثقل أسلوب الدعوة إلىٰ الله ﷻ. وأرجو من إخواننا جميعًا في كل بلاد الإسلام أن يتأدبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله ﷻ، لا يريدون جزاءً ولا شكورًا)[1].

وتأمل أيضًا كيف يجيب العلماء الحكماء في لجنة الإفتاء عن مثل هذا السؤال؟!

(السؤال: بحكمكم رائد الدعوة السلفية والصحوة الإسلامية الراهنة؛ ماذا تنصحنا وترشدنا إليه من جهة التعامل مع شيوخ الصوفية وأتباعهم، أفيدونا أفادكم الله؟

الجواب: نوصيكم بالدعوة إلىٰ الله لشيوخ الصوفية وغيرهم، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، كما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بذلك، والحث علىٰ التزام السُّنَّة وترك البدعة، مع الابتعاد عن التشدد والتنفير، **ومن أبىٰ أن يلتزم بالسُّنَّة وأصرَّ علىٰ بدعته فإنه يُهجر، ويُحذَّر الناس منه بالطريقة اللائقة، التي لا يكون لها مردود سيئ علىٰ**

(١) شريط رقم (٩٠٠) من سلسلة الهدىٰ والنور.

**الدعوة وأهلها، والشر إذا لم يمكن إزالته بالكلية فإنه يُخفف حسب المستطاع**. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم)[١].

وقال الشيخ حماد الأنصاري ﷺ: (يجب احترام العلماء لعلمهم، حتى لو كانوا أشاعرة أو ماتريدية، وتخدمهم أيضًا، وبهذا تستطيع أن تصِل إلى قلوبهم فيستجيبون لسلفيَّتِك؛ وبهذا الأسلوب خرجت أمم من الظلمات إلى النور)[٢].

ولا تظن أيها السلفي أن الشيخ حمادًا بهذا الكلام يُداهن أهل البدع، أو يميِّع مسائل الدِّين أو يتخلى عن الثوابت، بل قصده الدعوة إلى السُّنَّة والترغيب في التمسك بها؛ لإخراج أهل البدع من ظلمات البدعة إلى نور السُّنَّة، ومنهجه في هذا هو منهج من سبقه من علماء السُّنَّة، الذين يرحمون الخلق ويشفقون عليهم حتى يأخذوا بأيديهم إلى طريق الحق.

ولقد كان الشيخ عبد الله القرعاوي ﷺ كذلك يسلك هذا المنهج الحكيم؛ فآتت دعوته ثمارها، قال ابنه عميد الأسرة الشيخ محمد بن عبد الله القرعاوي: (ومن سياسة والدي أنْ قام بتعيين بعض أهل البدع كمراقبين على المدارس، لئلا يصادموا الدعوة، وكان ينفق عليهم، ويتألفهم بالمال؛ فاستجاب له البعض، وبسياسته تلك انتشر العلم والإصلاح، واهتم ﷺ بأبنائهم الصغار، وأدخلهم في مدارسه، وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم، وصار منهم إقبال كبير، مع محاولة ذويهم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/٢٧٠)، السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٦٦٩٦).
(٢) انظر: ترجمته في كتاب المجموع، لابنه عبد الأول (٢/٥٥٧).

صدِّهم عن تلك المدارس المباركة...)[1].

هكذا كان علماء السُّنَّة يتعاملون مع المخالفين بما يُحقق مصلحة شرعية، بعيدًا عن الحظوظ والأهواء النفسية.

قال المحدث الألباني رحمه الله: (سياسة الولاء والبراء لا تستلزم معاداة أي فئة من الفئات الإسلامية أو أي طائفة من الطوائف الإسلامية، ولكن يجب أن تعامل كل واحدة منها في حدود قربها وبعدها من العقيدة الصحيحة أو التمسك بالإسلام الصحيح ككل.

والمعاداة لا تأتي إلا في حالة اليأس من صلاحها وهدايتها، فهنا يأتي ما هو معروف بالبغض في الله، أما ابتداءً فلا ينبغي للمسلم أن يُعادي أحدًا من الطوائف الإسلامية، ولو كانت مخالفة لعقيدته)[2].

فاحذر أن (تظن يا طالب العلم أن من تمام المنهج الحق أنه لا بد أن تسب شيوخهم، وتطعن فيهم فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨] تسب الشيخ أو تقول ضال أو كذا أو الطريقة الفلانية؛ فإنهم عندها ينفُرون منك فتأثم، وتكون قد نفرت الناس، وإنكم إذن منفرون، والرسول ﷺ لمَّا أرسل معاذًا وأبا موسىٰ رضي الله عنهما إلىٰ اليمن قال: «يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا»[3])[4].

(١) المسيرة لداعية جنوب الجزيرة، لبندر بن فهد الأيداء (ص١٧٨).
(٢) الشريط رقم (٧) من فتاوىٰ الألباني بمكة.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٦٥) رقم (٣٠٣٨)، ومسلم في صحيحه (٥/١٤١) رقم (١٧٣٢).
(٤) الحث علىٰ الائتلاف، للشيخ الدكتور ربيع بن هادي (ص٣٠).

إن بعض المنتسبين للسُّنَّة من طلبة العلم، قد يتسبب بسوء طريقته في معاملة المخالفين، فيحملهم على أنهم يتعصبون لآرائهم، ويحنقون على من يرشدهم للحق من أهل السُّنَّة، بل قد يحمل بعضهم على العناد والأنفة عن قبول الحق، فيدفعه إلى الرجوع إلى كتب مذهبه؛ ليزداد من التحقق منها والضلال فيها من أجل الرد فقط، وسوء خُلُقِ صاحب الحق.

فيا دعاة السُّنَّة تأملوا حكمة علماء السُّنَّة في كيفية معاملتهم لمن وقع في مخالفة أمر من أمور العقيدة أو غيرها بحكمة، ونظر في المصالح والمفاسد، وتأملوا كيف استمالت قلوب بعض المخالفين لهم حينما رأوا حسن تعاملهم، والأدب في ردودهم عند بيان الأخطاء.

فإذا كانت هذه هي حكمة علمائنا في تعاملهم مع المخالفين في أصول الدِّين، فلِمَ لا نسلك طريقتهم في التعامل مع إخواننا (أهل السُّنَّة) المتفقين معنا في الأصول؟! يقول قائلهم: إنهم فعلوا ذلك من أجل المصلحة ولحِكَمٍ كثيرة و... و....

فيقال له: ألا يَسَعُك ما وسِعهم فتقتدي بهم، أو تكفَّ المسلمين من جهلك وشرِّكَ؟!

## ثامنًا: الرجوع إلى العلماء

إن وجود العلماء نعمة كبرىٰ، ومنَّة من الله عظمىٰ، فينبغي علينا معرفة قدرهم، والرجوع إليهم عند التنازع والاختلاف، فلا بد لطلبة العلم والدعاة من الرجوع إلىٰ العلماء في فهم النصوص الشرعية، عملًا بقول الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، فالواجب الرجوع في مثل هذه الأمور إلىٰ العلماء المعتبرين من أهل السُّنَّة والجماعة، ممن رسخت بالعلم أقدامهم، وممن طال الزمان بهم، فزادت معرفتهم وخبرتهم، ولو رجع الدعاة في اختلافاتهم إلىٰ كبار العلماء؛ لتحقق كثير من المصالح، ولحصل من رأب الصدع وتآلف القلوب ما تُسَّر به أعين أهل السُّنَّة.

قال سماحة شيخنا ابن باز ﷺ: (المشروع لدعاة الحق وطلبة العلم إذا أشكل عليهم أمر من كلام أهل العلم أو غيرهم أن يرجعوا فيه إلىٰ العلماء المعتبرين ويسألوهم عنه؛ ليبينوا لهم جلية الأمر، ويوقفوهم علىٰ حقيقته، ويزيلوا ما في أنفسهم من التردد والشبهة عملًا بقول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣])[1].

ينبغي علىٰ الدعاة وطلبة العلم، ومن يتولىٰ توجيه الشباب، أن

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز (٣١٤/٧).

يتصلوا بكبار العلماء، ويعرضون عليهم قضاياهم ومسائلهم المشكلة ويستنصحونهم، فإن هذا المسلك هو أحد أسباب التقارب بين المتنازعين.

قال شيخنا صالح الفوزان حفظه الله: (نحن نوصي الشَّباب أن يتركوا الفُرْقة والاختلاف، وأن يَعرِضوا ما حصل بينهم على أهل العلم، هُم لا يمكنهم أن يرجعوا إلى الكتاب والسُّنَّة؛ لأنهم قد لا يتمكَّنون من هذا لقصور علمهم، ولكن يرجعون إلى أهل العلم، ويقول أحدهم: أنا أقول كذا، وفلان يقول كذا، أيُّنا على الصَّواب؟ ويصدُرون عن أهل العلم لبيان الحقِّ.

هذا الذي نريد لهم؛ أن يرجعوا إلى أهل العلم: إمّا بالمشافهة إذا حضروا عندهم، وإمّا بالكتابة؛ يكتبون إلى العلماء، ويشرحون لهم القضيَّة؛ يقولون: أيُّنا على الصَّواب؟ نحن نقول كذا، وفلانٌ يقول كذا، دليل فلان كذا، ودليل فلان كذا، أيُّنا على الصَّواب؟ ثم يأخذون الإجابة الصحيحة إن شاء الله)[1].

وحينما يحصل اختلاف بين المتنازعين في تقويم أحد من طلبة العلم أو الدعاة؛ فيتساءلون: هل هو من أهل السُّنَّة أو من أهل البدع؟! وهل يُنصح العامة بسماع دروسه أو لا يُنصح؟ وهل يُحذَّر منه أو لا يُحذَّر؟! كل تلك الأسئلة وعلاج ذلك الداء، قد بيَّنه أكابر العلماء.

فمن الدواء لذلك الداء، ما أرشد إليه العلَّامة المحدث عبد المحسن العبَّاد حفظه الله حيث قال: (عند سؤال طلبة العلم عن حال أشخاص من

(١) المنتقى من فتاوى الفوزان (٢٨/٤).

المشتغلين بالعلم، ينبغي رجوعهم إلىٰ رئاسة الإفتاء بالرياض للسؤال عنهم، وهل يُرجع إليهم في الفتوىٰ وأخذ العلم عنهم أو لا؟ ومَن كان عنده علم بأحوال أشخاص معيَّنين يُمكنه أن يكتب إلىٰ رئاسة الإفتاء ببيان ما يعلمه عنهم للنظر في ذلك، وليكون صدور التجريح والتحذير إذا صدر يكون من جهة يُعتمد عليها في الفتوىٰ، وفي بيان مَن يُؤخذ عنه العلم ويُرجع إليه في الفتوىٰ، ولا شكَّ أنَّ الجهة التي يُرجع إليها للإفتاء في المسائل، هي التي ينبغي الرجوع إليها في معرفة مَن يُستفتىٰ ويُؤخذ عنه العلم، وألاَّ يجعل أحدٌ نفسه مرجعًا في مثل هذه المهمَّات؛ فإنَّ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1].

إذا قالــــتْ حــــذامِ فصـــــدقوها        فــإنَّ القــولَ مــا قالــتْ حــذامِ

فانظر يا رعاك الله إلىٰ أساطين العلم كيف يحرصون علىٰ الدعوة وتقويم اعوجاجها، وتمييز حلوها من أُجَاجها، فلله درهم، وفي الفردوس الأعلىٰ جمعنا بهم.

فرحم الله علماءنا لقد نصحونا وأرشدونا، وأوردونا علىٰ معين صافٍ لا كدر فيه، لكن ما زال بعض دعاتنا عن هذا معرضون، ولأهوائهم متبعون، إلا ما رحم ربي.

فليت دعاتنا يختصرون الطريق في نقاشهم وجدالهم وخلافاتهم؛ فيذهبون لهيئة الإفتاء أو يراسلونهم عند الخلاف في مثل هذه الأمور، التي أرهقت الأجساد وحيرت العقول، وعطلت كثير من مصالح الدعوة!

(١) رفقًا أهل السنة بأهل السنة، عبد المحسن العبَّاد (ص٢١).

# الخَاتِمَة

نصيحتي لك أيها المُنصف: أن تشغل نفسك بالعلم الشرعي فيكون مقصودك العمل بما علمت، فإن العلم ليس في كثرة الدروس أو الكتب، وإنما العلم الحقيقي هو الذي يُثمر خشية الله تعالىٰ والخوف منه سبحانه، وعليك محاسبة نفسك وملاحظة تقصيرك، والاستعداد ليوم رحيلك، وأوصيك بمتابعة كبار علماء السُّنَّة الربانيين، فالزم غرزهم؛ فإنهم لم يتحيزوا لطائفة معينة (لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء؛ بل هم إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله متحيزون، وإلىٰ محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أنَّىٰ توجهت ركائبه، ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه، لا تستفزهم بدوات آراء المختلفين، ولا تزلزلهم شبهات المبطلين، فهم الحكام علىٰ أرباب المقالات، والمميزون لِمَا فيها من الحق والشبهات، يردون علىٰ كلٍ باطله، ويوافقونه فيما معه في الحق)[1].

وفي الختام:

إذا اتَّضَحَ الصَّوابُ فلا تَدْعُهُ ... فإنّكَ قلَّما ذُقتَ الصَّوابَا

وَجَدْتَ لَهُ علىٰ اللّهَواتِ بَرْدًا ... كَبَرْدِ الماءِ حِينَ صَفَا وطَابَا

ولَيسَ بحاكِمٍ مَنْ لا يُبَالي ... أأَخْطأَ فِي الحُكومَةِ أمْ أصَابَا

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/١٦٥).

تلك الكلمات التي سطرتها كانت نفثة مهموم، وشكوىٰ يبثها مغموم؛ مما وصلت به حال دعاة أهل السُّنَّة من التفرق والتحزب المذموم، ذكرتُ فيها ما استطعت جمعه من كلام رب العالمين، وأحاديث سيد المرسلين، وأيضًا أقوال العلماء الربانيين.

(فيا أيها القارئ له لك غنمه وعلىٰ مؤلفه غرمه، لك ثمرته وعليه تبعته، فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله، ولا تلتفت إلىٰ قائله، بل انظر إلىٰ ما قال لا إلىٰ مَنْ قال)[1].

إنْ تجدْ عيبًا فَسُدَّ الخللا جلَّ مَنْ لا عيبَ فيهِ وعلا

(فإنْ كنتُ أحسنت فيما جمعت وأصبت في الذي صنعت ووضعت، فذلك من عميم مِنن الله تعالىٰ، وجزيل فضله، وعظيم أنعمه عليَّ، وجليل طَوْله، وإنْ أنا أسأت فيما فعلتُ وأخطأتُ إذ وضعت، فما أجدر الإنسان بالإساءة والعيوب إذا لم يعصمه ويحفظه علَّام الغيوب)[2].

**المؤلف**

أبو عبد الرحمن

عايد بن باتع الشمروخ العتيبي

**الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**

**بمحافظة الأحمدي ـ دولة الكويت (حرسها الله)**

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٥٢٢).

(٢) الخطط، للمقريزي (١/٦).

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ٥ |
| الحذر من الاستسلام لهذا الواقع المرير | ١١ |
| سبب التأليف | ١٣ |
| التمهيد | ١٤ |
| هل اختلف الصحابة رضي الله عنهم ؟ | ١٦ |
| الفرق بين الاختلاف السائغ والمذموم | ٢١ |
| أسباب الاختلاف | ٢٧ |
| أولًا: الجهل بالشرع | ٢٧ |
| الأصاغر غالبًا هم منشأ الخلاف والتنازع | ٢٩ |
| الجهل بمعرفة مراتب البدعة وأحكامها | ٣٢ |
| الجهل بمعرفة مسائل الأسماء والأحكام | ٤٢ |
| الجهل بحقيقة الإيمان وشُعبه | ٤٤ |
| الجهل بأصل الولاء والبراء ومقتضياته | ٤٧ |
| ثانيًا: التعصب بأنواعه، والحزبية المذمومة | ٥٢ |
| من التعصب امتحان الناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان | ٥٦ |
| ومن أنواع التعصب: تضييق دائرة السُّنَّة وقصرها على جماعتهم دون غيرهم | ٦٥ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

ثالثًا: عدم التثبت ..... ٧٠
رابعًا: الحسد ..... ٧٩
خامسًا: سوء الظن ..... ٨٣
سادسًا: حب الرئاسة والشهرة ..... ٩٣
سابعًا: الجدل والمماراة ..... ١٠٠
ثامنًا: الأصابع الخفية من (أعداء الإسلام والسُّنَّة) الذين يثيرون الفتن والفُرْقة ..... ١٠٦
علاج الاختلاف ..... ١١١
أولًا: السعي في الإصلاح بين الدعاة ..... ١١٣
السعي في تأليف القلوب من أهم أصول أهل السُّنَّة والجماعة . ١١٤
المصلح لا ييأس من المُضي للسعي في الإصلاح ..... ١١٧
ثانيًا: إحياء رابطة الحب في الله ..... ١١٩
ثالثًا: سلامة الصدر ..... ١٢١
مواقف مشرقة لعلماء السُّنَّة في سلامة الصدر ..... ١٢٢
رابعًا: العدل والإنصاف ..... ١٢٦
من صفات أئمة السُّنَّة والجماعة العلم والعدل والرحمة ..... ١٣٠
الإنصاف ..... ١٣٣
من الإنصاف: أن يُفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ..... ١٣٤
خامسًا: قبول الحق ممن جاء به ..... ١٣٧
سادسًا: الحوار والمناقشة باللطف للوصول إلى الحق ..... ١٤٠

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

الغاية من الحوار والمناقشة ..... ١٤٢
مراعاة آداب الحوار..... ١٤٤
سابعًا: استعمال الحكمة ومراعاة المصالح ..... ١٥٠
وقفات مهمة..... ١٥٧
ثامنًا: الرجوع إلى العلماء..... ١٦٨
الخاتمة..... ١٧١

# دار ركائز الوقفية

## للنشر والتوزيع ـ دولة الكويت

### ۞ رؤيــة «دار ركـائز» وأهدافـها:

تتطلع دار ركائز الوقفية ـ غير الربحية ـ إلى خدمة العلم الشرعي عن طريق **نشر مُهمَّات الكتب العلمية النافعة بين الناس، بأسعارٍ مناسبة**، علاوة على خدمة طالب العلم الشرعي بتوفير الكتاب الذي يحتاجه في طريق التعلُّم، وتقريب علوم الشريعة لمختلف الفئات ومنها لغير الناطقين بالعربية، راجين أن تكون تلك الأعمال خالِصة لوجه الله **ووقفاً لله تعالى**، يُحبَس أصله وتُسَبَّلُ منفعته.

وتم ـ بحمد الله ـ خلال **السنوات معدودة** من إنشاء الدار سنة ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م إصدار (أربعون مؤلفاً) في (سبعين مجلداً).

### ۞ آلـيَّة العَمــل:

اتخذت الدار عدة سبل في **خِدمة الكتاب مِن مهده وحتى وصوله للأيدي**، واتخذنا آليةً في العمل ـ تختلف مع طبيعة كل كتاب ـ ومنها إجمالاً:

١) الاختيار الدقيق لعنوان الكتاب، ودراسة فائدة نشره بين الناس وحاجتهم له، من خلال النظر في طبعاته، وتقييمها عِلمياً، ومدى توفره بالسوق المحلي.

٢) إسناد الكتاب إلى المتخصصين في هذا الفَن، من حملة الدراسات العليا في فنِّه، حيث يمر الكتاب بمراحل:

أ) **جمع مخطوطاته** ـ إن كان قديماً ـ ونسخها ومقابلتها وفق منهجٍ مؤصل عند المحققين.

ب) **التدقيق اللُّغَوي**، والمراجعة **العِلمية** من تخريجٍ للأحاديث وعزوٍ للآثار والأقوال.

ج) **الصَّف والإخراج** النهائي، ودفع الكتاب للطباعة والتجليد الفني وفق أعلى معايير الجودة التي يتطلبها سوق الكتاب الشرعي، ليكون جاذِباً للقارئ.

د) **شحن الكتاب** من بيروت إلى المكتبات ودور النشر العربية، ومتابعة بيعه، والمشاركة بمعارض الكتاب العالمية.

٣) تحصيل عوائد بيع الكتاب **لطباعة كتب شرعية أخرى**، ولإتمام دورة نشر الكتاب النافع وتوزيعه داخل دولة الكويت وخارجها.

٤) نشره إلكترونياً دونَ مُقابل ـ بعد صدوره بفترةٍ تُقارب السَّنتين ـ في المواقع المعروفة بنشر الكتب المجَّانِية، في (المكتبة الشَّامِلة)، وبصيغة (pdf) أو غيرها، ليعم انتفاع الباحثين منه.

### ۞ طرق التواصـل مع «دار ركــائز»:

يمكن التواصل عبر القنوات التالية:


- البريد الإلكتروني Rakaez.kw@gmail.com
- تويتر @dar_rakaezkw
- المتجر الإلكتروني rakaezkw.com
- تليغرام t.me/dar_rakaez
- هاتف مباشر (عبر الواتساب) ٥٠٦٧٤٥٣٣